

مَجَلـة شَهـرِيَّـة اسْلاميَّـة أَدبيَّـة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤٣)	صفر المظفر ١٤٣٢ هـ
العدد الثاني	فبراير ٢٠١١ م

المشـرف العام

عبـد اللّه سعـود بن عبـد الوحيد

رئيس التحريـر

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

☆ عنوان المراسلة:	صـوت الأمــــة بی ۱ / ۱۸ جی، ریوری تالاب، بنارس، الهند THE EDITOR B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک باسم:	دار التاليف والترجمة، ريورى تالاب، بنارس، الهند DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک السنوي:	في الهـند (١٥٠) روبيــة، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخــة (١٥) روبيــة

☆ تليفون: ٢٤٥٢٢٤١ / ٢٤٥١٤٩٢ ـ ٥٤٢ ـ ٠٠٩١   فاكس: ٢٤٥٢٢٤٣ ـ ٥٤٢ ـ ٠٠٩١

محتويات العدد

العنوان	الصفحة

الافتتاحية

المملكة العربية السعودية ورعايتها للعلماء المسلمين في الداخل والخارج (*)

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

الحمد لله رب العالمين، القائل في محكم تنزيله: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات – المجادلة: 11) والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد الذي أرسله إلى الناس كافة ليتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين.صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أمابعد!

فإن العلم من أخص الخصائص التي امتاز بها الإنسان على غيره من المخلوقات، وقد جاءت باكورة الوحي بآيات تنوه بالعلم وتشير إشارات سريعة إلى عظم مكانته وعلو درجته. ثم يستمر هذا الوحي مدة ثلاث وعشرين سنة يؤكد بين حين وآخر على شرفه، ويحض على التشاغل به، بأساليب شتى وبطرق مختلفة، وينضم إلى هذا الوحي المتلو لتأكيد منزلة العلم الوحي الغير المتلو حيث يصدق أحدهما الآخر ويسيران جنبا إلى جنب لإقناع العباد بوظيفة العلم العظمى وبمكانته العليا.

والإنسان الذي يدرك أهمية العلم ويقتنع بدوره في هذا الكون فيقوم بتزيين نفسه به ويتحصل منه على قدر مناسب يسمو في نظرالشريعة وترتفع مكانته لدى رب البرية. ولقد صدق الله العظيم القائل: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون – الزمر: 9)

وقد جعل الله أهل العلم شهداءه، أشهدهم على توحيده وقرن شهادتهم بشهادته – سبحانه – وبشهادة ملائكته، فقال: (شهدالله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بلقسط، لا إله إلا هو العزيز الحكيم –آل عمران: 18)

ورفع درجاتهم بهذا العلم (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات – المجادلة : 11)

وبين أنهم أخشى الناس لله (إنما يخشى الله من عباده العلماء – فاطر : 28)

(*) أصل البحث المقدم في المؤتمر العالمي الأول عن جهود المملكة العربية السعودية في خدمة القضايا الإسلامية، المنعقد في محرم 1432 هـ = ديسمبر 2010 م، في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة, بالتعاون والتنسيق مع دارة الملك عبد العزيز.

وجعلهم مرجع الأمة في شؤونها ومصالحها (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون – النحل: 23، الأنبياء: 7)

(ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم – النساء: 83)

ووردت في السنة النبوية طائفة من أقوال المصطفى صلى الله عليه وسلم في بيان منزلة العلماء وعظيم مكانتهم، وفيما يلي مجموعة منها:

عن معاوية رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين." [1]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقاإلى الجنة". [2]

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من سلك طريقا يبتغي فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفرله من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولادرهما، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر". [3]

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، إن الله عزوجل وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت، ليصلون على معلم الناس الخير". [4]

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي تحبب إلى المسلمين العلم وتشجعهم على تحصيله وترفع من شأن العلماء فتجعل منهم أعلاما يقتدى بهم، وأئمة يهتدى بهم، وورثة الأنبياء فى أممهم، وأمناءهم على دينهم.

والموفقون لاتباع شريعة الله وللعمل بكتابه وسنة رسوله يحلون هذه النصوص محلها فيقدرون علماءهم حق قدرهم وينزلونهم منازلهم ويعرفون لهم فضلهم ويعترفون بإمامتهم وسيادتهم.

---

[1] صحيح البخاري: 71، صحيح مسلم: 2389 .

[2] صحيح مسلم: 2699 .

[3] سنن أبي داود: 364 سنن الترمذي: 2682، سنن ابن ماجه: 223، وصححه الألباني، انظر: صحيح الجامع الصغير: 6297.

[4] سنن الترمذي: 2685، وصححه الألباني، انظر صحيح الجامع الصغير: 4213.

من هنا نرى أن المملكة العربية السعودية التي اتخذت من كتاب الله تعالى وسنة رسوله دستورا لحكومتها ومرجعا لدولتها، تقدر العلماء المسلمين – بغض النظر عن أوطانهم وألوانهم – تقديرا لم يعهد له نظير لدى الحكومات، وترعاهم رعاية تفوق كل التصورات والتقديرات، رعاية باعثها الإيمان بتلك النصوص وإحلالها محل العمل والتطبيق، و ليس الغرض من وراء هذه الرعاية كسب ثقة الرعية والتودد إليهم بالظهور فى مظهر الحكام المتدينين كما هو دأب بعض القيادات وديدنها.

إننا لانشكك فى النيات، ولاندعي الاطلاع على البواطن والمستورات، ولكن المظاهر قد تكشف بعض الحقائق وترفع الستار عن المقاصد, الأمر الذي يساعد على تمييز الحق من الباطل والطيب من الخبيث.

إن المملكة العربية السعودية قد قضت أكثر من ثلاثة أرباع قرن بعد توحيد البلاد على يد الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمهم الله، والناظر فى تاريخها يجد أن موقفها من أصحاب العلم والمعرفة اليوم هو موقفها يوم تأسيسها، لم يطرأ عليه أي تغيير يذكر، يجد هذا الناظر أنه بتقدم الزمن وتطور ا لوسائل تأخذ عناية المملكة بالعلماء فى الاتساع لتتخذ أشكالا جديدة وسبلا متنوعة. (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض، كذلك يضرب الله الأمثال – الرعد: 17)

وفي هذا البحث المتواضع أحاول إلقاء بعض الأضواء على موضوع "رعاية المملكة العربية السعودية للعلماء المسلمين في الداخل والخارج" ويكون تفصيل الكلام حول الموضوع تحت عناوين فرعية.

رعاية المملكة للعلماء المسلمين من الداخل:

يتميز تاريخ المملكة العربية السعودية بأن صفحا ته كلها متشابهة يتلألأ أولاها مثل أخراها – وليست أخيرتها – فكان توفيق الله حليف هذه الدولة منذ تأسيسها، وكان السعي إلى كل خير والسبق إلى كل فضيلة والتبادر إلى كل حسنة عنوان هذه الدولة عبر الأدوار والفترات، لايمكن للباحث مهما حاول ومهما بذل الجهد، أن يفضل بعض أدوارها على بعض وبعض مراحلها على أخرى في المكارم والفضائل.

(أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها – إبراهيم: 24 –25)

فنرى أن هذه الدولة – في دورها الأول – التقت بمجدد العصر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، فرحبت به ترحيبا حارا، وأنصتت لتوجيهاته إنصاتا كاملا، وانتفعت بعلمه وحكمته وتقواه وفضله في إحياء شعائر الله وإقامة مجتمع إسلامي نموذجي. عرف رجال الدولة مكانة هذاالعالم الرباني فقدروه حق قدره، وحموه حق حمايته، ودافعوا عن دعوته خير دفاع. ومن جانب آخر لم يأل الشيخ جهدا في نصح الدولة ولم يدخر وسعا في بذل كل ما من شأنه إرساء قواعد الدولة على أسس شرعية متينة، فكانت النتيجة ما وعدالله في كتابه بقوله:

(وعدالله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا، يعبدونني لا يشركون بي شيئا – النور: 55)

هذه هي البداية، بداية رعاية الدولة للعلماء، ومعرفتها لمكانتهم، وإنزالهم منزلتهم، وكانت هذه المعرفة وهذه الرعاية نزيهة من أي هوى ومن أي غرض دنيوي ومن أي طمع مادي، فكتب الله لها الدوام ويسر لها الاستمرار وجعلها سمة بارزة من سمات الدولة، فآل سعود وآل الشيخ هما لحمة هذه الدولة وسداها، وعلى نطاق أوسع رجال الدولة ورجال العلم لا تجد بينهما خطا فاصلا إلى يومنا هذا. والحمدلله رب العالمين.

ومن الطبيعي أن يكون للعلماء في الداخل – أي العلماء المواطنين – الحظ الأكبر والنصيب الأوفر من هذه الرعاية. وإذا ذهبنا نبحث في ما يخص العلماء المواطنين من عناية حراس الوطن وقادة الدولة، فأول ما يلفت نظرنا تعدد الأشكال وتنوع المظاهر لهذه الرعاية، هذا ما نتناوله في السطور التالية:

مظاهر رعاية المملكة للعلماء المسلمين من الداخل:

(أ) تتلمذ الأمراء عليهم وحضورهم في مجالسهم:

فهذا الأمير سعود بن عبد العزيز (م سنة 1229هـ) تخرج على يدي شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وكان أهل الدرعية يجتمعون كل يوم بعد صلاة الفجر خارج قصره، ويجلس معهم في الصدارة الأمير سعود وآل سعود، وإلى جانبهم آل الشيخ، ويقوم أحد العلماء من آل الشيخ بالوعظ، وكان الشيخ عبد الله ابن شيخ الإسلام هو الذي يتولى التدريس في الغالب، وكان يدرس في الأكثر من تفسير ابن جرير وابن كثير.

وبعد صلاة العصر كانت تعقد ندوات عامة داخل القصر، يحضر فيها الأعيان والأكابر وعامة الناس، ويجلس معهم الأمير سعود أيضا، وكان الشيخ سليمان بن عبد الله ابن شيخ الإسلام (قتل سنة 1233هـ) يلقي دروسا من صحيح البخاري، والشيخ سليمان هذا كان قاضيا في الدرعية في حياة والده، وكذلك تولى إمارة مكة أيضا في عصرالأمير سعود بن عبدالعزيز مدة. [1]

ومن أجل تلامذة شيخ الاسلام حفيده عبد الرحمن بن حسن ابن شيخ الإسلام (م سنة 1285هـ) وهو المجدد العلمي لآل الشيخ، كان – أيضا – قاضيا في الدرعية أيام الأمير سعود بن عبدالعزيز (م سنة 1229هـ) والأمير عبدالله بن سعود (صلب سنة 1234هـ) وكذلك تولى القضاء في عهد تركي بن عبدالله (م سنة 1249هـ) وفيصل بن تركي (م سنة 1282هـ) وكان مرجعا للخاصة والعامة، عهدت إليه مسؤولية التدريس في المجالس الخاصة للأمير تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود (م سنة 1249هـ) وكان يدرس في الغالب من تفسير ابن جرير. وتولى التدريس والإرشاد في عهد فيصل بن تركي أيضا. [2]

وبعد توحيد البلاد واصل مؤسس الدولة الملك عبد العزيز وأبناؤه البررة هذه المسيرة، وكان الملك المؤسس رحمه الله نظير نفسه في الاعتماد على العلماء والاهتداء بهديهم والاستنارة بنورهم، وكان يحثهم على وعظ الناس وتعليمهم أمور الدين، ويدعو الناس إلى الجلوس في مجالس الوعظ والإرشاد، كما كان يأمر بنسخ ما يعجبه من المواعظ وأقوال أهل العلم ويأمر بتوزيعها بين المسلمين. [3]

وهذا الملك فيصل، يقول عنه أحد خريجي الجامعة الإسلامية القدامى، وهو الشيخ حفيظ الرحمن بن محمد نعمان الأعظمي:

" بعد مبايعة الملك فيصل ملكا على البلاد، شرف الملك الجامعة الإسلامية بزيارته الميمونة، وتفقد المكاتب والإدارات والفصول الدراسية، وتفضل بالجلوس في فصلنا على كرسي عادي، وكان المدرس هو الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله. جلس الملك لمدة نحو عشر دقائق يستمع إلى درس الشيخ بكل عناية، ثم توجه إلى قاعة المحاضرات، وبصحبته الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله, وكان مرافق الشيخ الذي يقوده قد تخلف

[1] انظر: عنوان المحد في تاريخ نجد، لابن بشر الحنبلي: 1/167-178، ومحمد بن عبد الوهاب: مصلح مظلوم ومفترى عليه، للأستاذ مسعود عالم الندوي، تعريب: د. عبد العليم عبد العظيم البستوي، ص: 128-129.

[2] انظر: عنوان المجد: 2/65، 56 ومحمد بن عبد الوهاب: مصلح مظلوم... ص: 77-78.

[3] انظر: الملك عبد العزيز آل سعود: أمة في رجل، للدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ص: 150 .

في مكان ما، فكان الملك فيصل يمسك بيد الشيخ يقوده إلى قاعة المحاضرات مكان مرافق الشيخ...". [1]

(ب) إشراكهم في كل ما يهم الدولة من أمور الرعية ومسائلها، واستشارتهم، والصدور عن آراءهم وتوجيهاتهم:

لما تم إعلان اتخاذ الشريعة الإسلامية دستورا للبلاد بات واضحا أن يكون العلماء أهل الحل والعقد، والمؤتمنون على المصالح العظمى في الدولة، وأهل الشورى الذين ترجع إليهم الأمة في جميع شؤونها ومصالحهاوأن القادة يراجعونهم في جميع القضايا المصيرية، ويصدرون عن آرائهم، وهذا ما حصل فعلا. والمطلع على الأحوال السياسية والاجتماعية للمملكة في ماضيها وحاضرها يدرك مدى نفوذ العلماء في إدارة البلاد، ومدى ثقة الولاة بهم، ومدى أثرهم في المجتمع,فالحكومة تعرض القضايا الأساسية على علمائها قبل اتخاذ أي موقف تجاهها، ويكون موقفها نفسما يقرره العلماء بعد البحث والتمحيص، فالعلماء والولاة بعضهم مع بعض، يعرف كل منهم مكانة الآخر ويستشعر كل منهم مسؤوليته تجاه الآخر.

يقول الدكتور منير العجلاني في كتابه: "تاريخ مملكة في سيرة زعيم فيصل ملك المملكة العربية السعودية وإمام المسلمين" :

"إن القوة الموجهة في المملكة تتألف من رجال الدين [2] والأمراء، ثم من الموظفين والمثقفين ورؤساء العشائر ووجوه البلد والتجار الخ ...وربما أطلق على طليعة القوى الموجهة الاسم الفقهي المعروف: أصحاب الحل والعقد أو أصحاب الرأي.

وإذا تركنا جانب الأشخاص والجماعات رأينا أن القوة التي تسيطر على كل شيئ، ولها الأولوية دائما هي القوة الروحية الكبرى: الدين."

ويقول:

"يتولى علماء الدين شؤون الإفتاء والقضاء والتعليم الديني والتعليم النسوي، وهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإمامة والخطابة في المساجد الخ ..." إلى أن يقول:

"والخلاصة فإننا نضع علماء الدين وفي مقدمتهم آل الشيخ في طليعة القوى الموجهة في الدولة إلى جانب الأمراء،ونعترف لهم بفضلهم ومساهمتهم في استقرار الأمور في المملكة...". [3]

(يتبع)

***

[1] مجلة صراط مستقبم الأردية، برمنجهام، عدد خاص بالشيخ ابن باز رحمه الله، أغسطس – سبتمبر1999م، ص: 28.

[2] هناك ملاحظات على هذا التعبير "رجال الدين" فالأولى استعمال كلمة "علماء الدين" أو "علماء الشريعة" مكان تلك الكلمة.

[3] تاريخ المملكة في سيرة زعيم فيصل ملك المملكة العربية السعودية وإمام المسلمين، للدكتور منير العجلاني، ص: 9 .

تفنيد المزاعم:

سَقَطَاتُ هَشِيمِ الـمُحتَظَر

كتاب الشيخ عداب الحمش في المهدي المنتظر

(18)

بقلم: الدكتور عبد العليم عبد العظيم البستوي
مكة المكرمة

سقطات ومغالطات أخرى:

لقد ظهر واضحا جليا من تحقيق الكلام في هذه الأحاديث الثلاثة أن الشبهات التي استخدمها الشيخ عداب الحمش لتضعيف وتوهين كل أحاديث المهدي تخالف منهج النقد والتحقيق عند المحدثين رحمهم الله، بل قد يسبق إلى القلب في كثير من الأحيان أن الشيخ يتعمد لكثير من التدليس والتلبيس لايجاد أي مطعن في الحديث، سامحه الله.

ومما سبق من الكلام في الأحاديث الثلاثة المذكورة يتبين القارئ الكريم أن مناقشة شبهات الشيخ في كل الأحاديث والآثار تستلزم الإعادة والتكرار لكثير مما ذكرته في كتابي "المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة وأقوال العلماء وآراء الفرق المختلفة" لأن من الصعب على القارئ الكريم استيعاب تلك الشبهات والرد عليها بدون ذلك. ولكن هذا يؤدي إلى تطويل كبير في حجم الكتاب ولذلك فإني أكتفي بالتحقيق في هذه الأحاديث الثلاثة فقط، ليكون ذلك نموذجا في يد القارئ الكريم يعرف منها أن انتقادات الشيخ لا تعدو كونها زوبعة في فنجان، وليس لها أي وزن في ميزان النقد العلمي، أما الرد على كل شبهاته في كل حديث وأثر فإني أرى أن من المستحسن تأجيل ذلك إلى أن ييسر الله إصدار الطبعة الثانية من كتابي المذكور، وحينذاك سأقوم بمناقشتها إن شاء الله ولو باختصار.

ولكن الشيخ له سقطات أخرى عجيبة ومعيبة وتناقضات غريبة، وعنديات شاذة أرى أن من المستحسن المرور عليها.

أغباء أم افتراء؟

لقد ذكرت في كتابي ثمانية من الأحاديث المرفوعة الصريحة في ذكر المهدي وهي التي ثبتت عندي بعد البحث والتحقيق. ورأى الشيخ عداب الحمش أنها في الحقيقة ستة أحاديث فقط (ص 266 من كتاب العداب) ولكنه لما ذهب يتكلم فيها بالتفصيل جعلها عشرة أحاديث !! بل وضع لكل حديث عنوانا: تخريج الحديث الأول، تخريج الحديث

الثاني ... تخريج الحديث العاشر (ص 349)، وقال في ص (531) من كتابه: "أما الأحاديث المرفوعة التي ذكر فيها المهدي صراحة فكانت عشرة أحاديث".

قلت: لقد أصبحت المعادلة عند الشيخ (8- 2 = 10) وعلى أهل العقول أن يفهموها !!!

فمن أين زاد الشيخ حديثين حتىجعل الثمانية عشرة؟ الجواب غريب ومؤسف.

لقد أخذ الشيخ حديثين مما كنت ضعفته، وذكرهما هنا ضمن الأحاديث الثابتة عندي، فأوهم قراءه أن البستوي يصحح مثل هذه الأسانيد. [1]

أولهما: ما عنونه الشيخ بقوله: "تخريج الحديث الثاني: حديث ثوبان رضي الله عنه، ثم قال: بإسنادي إلى الإمام أحمد في مسنده: قال رحمه الله تعالى: حدثنا وكيع، عن شريك، عن علي بن زيد، عن أبي قلابة، عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا رأيتم الرايات السود من قبل خراسان فأتوها، فإن فيها خليفة الله المهدي". (ص 315)

ثم كتب الشيخ ما يقارب صفحتين في بيان ضعف هذا الحديث، ولقد كنت ذكرت هذا الإسناد ضمن تخريجي لحديث ثوبان رضي الله عنه برقم (7) والذي ذكره الشيخ عداب بعنوان "تخريج الحديث الثالث، حديث آخر لثوبان رضي الله عنه" (ص 317)، وكنت بينت هناك أن هذا الإسناد ضعيف بسبب شريك بن عبد الله وعلي بن زيد بن جدعان وهما ضعيفان، فإما أن الشيخ عداب لم يقرأ ما كتبته هناك، واستعجل النقد أو أنه أراد إكثار الأحاديث التي زعم أن البستوي يصححها وهي ضعيفة، سامحه الله.

وثانيهما:

ما عنونه الشيخ بقوله: "تخريج الحديث السابع: حديث ثالث لأبي سعيد الخدري رضي الله عنه".

ثم قال: " وبإسنادي إلى الحافظ نعيم بن حماد الخزاعي في كتابه "الفتن" قال رحمه الله تعالى:

[1] لقد صرح الشيخ عداب في ص (265) من كتابه أنه اقتصر على تخريج الأحاديث التي صححها الزميل البستوي في الجزء الأول من كتابه.

1 – حدثنا ابن وهب، عن الحارث بن نبهان، عن عمرو بن دينار، عن أبي دينار[1]، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد ا لخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "المهدي أقنى الأنف، أجلي الجبين".

2 – حدثنا الوليد، عن سعيد عن قتادة، عن أبي نضرة أو أبي الصديق عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: المهدي أجلى الجبين، أقنى الأنف".

وبإسنادي إلى الحافظ المقرئ أبي عمرو الداني في كتابه "السنن الواردة في الفتن" قال رحمه الله تعالى:

3 – حدثنا حمزة بن علي، حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا علي بن الحسين الجهني بدمشق، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا إسماعيل بن عياش: حدثنا عطاء بن عجلان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقوم في آخر الزمان رجل من عتر تي شاب حسن الوجه، أجلى الجبين، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا، ويملك كذا وكذا سبع سنين". (كتاب العداب ص 340 – 341)

ثم بين الشيخ ما في هذه الأسانيد من علل، ثم صرح قائلا: "فأنت ترى أن هذه الأسانيد ظلمات بعضها فوق بعض، ثم يأتي أخونا البستوي ليقرر للمسلمين عقيدة من وراء ترقيعات يسميها حسنا لغيره وحسنا لشواهده .... الخ وهي أحاديث واهية منكرة". (ص 341 من كتاب العداب)

أقول: لو كان الشيخ أمينا في نقله لالتزم على الأقل ذكر الجزء والصفحة التي ذكرت فيها هذه الأسانيد وحكمي عليها، ولكان ذلك أقرب إلى تنبيهه على غفلته إن كان هذا نابها عن غفلة دون تعمد، وذلك لأني لم أفرد حديثا بأي من هذه الأسانيد في باب الأحاديث والآثار الثابتة الصريحة في ذكر المهدي، حتى ينسب إلي الشيخ تصحيح أو تحسين هذه الأسانيد الواهية.

[1] كذا في كتاب العداب "عن أبي دينار" وهذه زيادة خاطئة لا علاقة لها بهذا الإسناد.

نعم ذكرت الإسناد الأول تحت الحديث الرابع (ص 167) وبينت في ص (173) أن الحادي ث بن نبهان الجرمي متروك، وذكرت بعض أقوال الأئمة فيه، ولكن المتن ورد مع زيادات بأسانيد أخرى ذكرتها هناك.

وكذلك الإسناد الثاني ذكرته تحت الحديث الرابع نفسه (ص 167) وبينت في (ص 173) أن الوليد بن مسلم ثقة، لكنه كثير التدليس والتسوية، وسعيد إن كان هو سعيد بن بشير الأزدي فهو ضعيف، وإن كان سعيد بن عبد العزيز التنوخي فهو ثقة جليل، والإ سناد فيه علل أخرى بينتها هناك.

أما الإسناد الثالث الذي ذكره الشيخ من كتاب أبي عمرو الداني فقد ذكرته في الأحاديث الضعيفة والموضوعة برقم (211، 257، ص 276 – 277) وبينت هناك أن هذا الإسناد ضعيف جدا، لأن فيه عطاء بن عجلان وهو البصري العطار متروك الحديث، بل قال فيه ابن معين: كذاب.

وبعد هذا يتبين للقارئ أن ما نسبه الشيخ إليّ من تصحيح هذه الأسانيد كما سبق ذكره قبل قليل نقلا عن الشيخ يفتقر إلى الصدق والأمانة، وما ينبغي أن يكون هكذا من يزعم أنه يشتغل بعلم الحديث منذ خمسة وعشرين عاما[1]، ويزعم أنه من فقهاء الجرح والتعديل.[2]

ومن المضحك المبكي ما قاله الشيخ في هذا الحديث (ص 341):

"ومما يزيد في وهاء الإسناد وضعفه أن الوليد بن مسلم روى هذا الحديث عن إسماعيل بن رافع أبي رافع وهو متروك، عمن حدثه وهو مبهم: فلا يوثق بعدئذ برواية الوليد من هذه الطريق أو غيرها".

ثم أحال في الحاشية إلى التقريب(442) وقال: ونص الحافظ أنه ضعيف فقط، ولكن واقعه أنه متروك !!

وسواء كان إسماعيل بن رافع "ضعيفا" أو "متروكا"، فليس هذا مجال بحثنا الآن، ولكني أطلب من كل ذي عينين أن ينظر في الإسناد الثاني الذي يشير إليه الشيخ أو في الأسانيد الثلاثة كلها التي ذكرها الشيخ تحت عنوان "تخريج الحديث السابع" (340 – 341 من كتاب العداب) هل يجد فيها رجلا اسمه "إسماعيل بن رافع"، فلماذا يقحمه

[1] انظر ص (517) من كتاب العداب.

[2] أيضا ص (333) وص (347).

الشيخ هنا؟؟ ولكن لا غرابة، فهذا من حيل الشيخ في إكثار الطعون في الأسانيد كما سيأتي فيما بعد إن شاء الله، ولا أظن أن الشيخ يجهل أن رجلا ما لو روى حديثا عن شخص ضعيف وآخر قوي، فرواية الضعيف لا تضعف رواية القوي، بل رواية القوي تعطي الضعيف بعض القوة .

إدخال رجال ضعفاء في ترجمة رجال أسانيد لا ذكر لهم فيها:

من التلبيسات الغريبة التي لجأ إليها الشيخ أنه يذكر حديثا بإسناد صحيح ثم لما يترجم لرجاله يقحم فيهم راويا ضعيفا لا ذكر له في ذلك الإسناد ثم يحكم على الحديث بالضعف من أجل ذلك الراوي المقحم.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الشيخ تحت عنوان " تخريج الحديث الخامس حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه"، ثم قال:

" وبإسنادي إلى أبي عبد الله الحاكم النيسابوري في كتابه المستدرك على الصحيحين، قال: أخبر ني أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي بمرو، حدثنا سعيد بن مسعود، حدثنا النضر بن شميل: حدثنا سليمان بن عبيد، حدثنا أبو الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحا، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعا أو ثمانيا يعني حججا"، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. (انظر كتاب العداب ص 327)

وعند تخريج الحديث ذكر أنه رواه العلاء بن بشير أيضا عند أحمد، ولفظه عند أحمد أتم، وفيه زيادات. (ص 327)

ثم ذهب يترجم رجال الإسناد بكلام ساقط مرفوض من أهل العلم بالحديث، ولكن الأغراب من هذا كله انه ترجم للعلاء بن بشير المزني فأطال في ترجمته، وما ذكره بعض الأئمة في جهالته، وحكم على إسناد الحديث بأنه ضعيف.

وأنا أرجو من القارئ الكريم أن يعيد النظر في إسناد هذا الحديث مرات وكرات في كتاب العداب (ص 327) أو في كتابي (ص 163) هل يرى في إسناده أحدا اسمه "العلاء بن بشير المزني" فلماذا أقحم الشيخ اسمه في تراجم رجال هذا الإسناد الصحيح ؟؟

ولو كان الشيخ عداب صادقا مع نفسه ومع قرائه لما فعل مثل هذا، وذلك لأنه يعرف أ ن البستوي حينما خرج هذا الحديث لم يذكر شيئا عن العلاء بن بشير هذا لا إسنادا ولا متنا، ولا إشارة ولا صراحة، وإنما ذكر حديث العلاء بن بشير هذا في قسم الأحاديث الضعيفة (2 / 71، حديث 65) وبين هناك ما قاله العلماء فيه، وذكر أن حديثه ضعيف.

ولكن الشيخ عداب يكتم كـ ل هذا عن قرائه ليوهمهم أن البستوي يصحح حديث العلاء بن بشير كما سبق أنه صرح بأنه لا يتكلم إلا في الأحاديث التي صححها البستوي، وإنما لجأ الشيخ عداب إلى إقحام اسم العلاء في هذا الحديث ليجد بذلك وسيلة للطعن في إسناد الحاكم، وهوصحيح خال من أي راو ضعيف عند أئمة الجرح والتعديل (انظر الحديث 3 من كتابي 1 / 163 – 165)

وإ معانا في التدليس والتلبيس زعم الشيخ عداب أن الشيخ الأرناؤوط ضعف هذا الحديث، وأحال إلى التعليق على المسند (17 / 427)، وبالرجوع إلى الموضع المذكور في مسند أحمد بتحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط ومعاونيه يتبين أنهم ضعفوا حديث العلاء بن بشير، ولم يشيروا من قريب ولا من بعيد إلى إسناد الحاكم ولفظه، بل قالوا بما نصه، وقد سلف نحوه مختصرا بإسناد صحيح برقم (11313).

ولعل القارئ الكريم يعرف أن البستوي ضعف حديث العلاء بن بشير قبل أن يصدر المسند بتحقيق الشيخ الأرناؤوط بسنين طويلة، وقبل أن يتعلم الشيخ عداب أبجديات علم الحديث.

هكذا الأما نة العلمية عند الشيخ عداب ا لحمش المشتغل في علم الحديث منذ ربع قرن، وفقيه الجرح والتعديل في زعمه الذي لم يعلم حتى الآن أن علم الحديث يتطلب الأمانة قبل كل شيء في النقل والرواية، ونسأل الله العفو والعافية.

(يتبع)

***

التشريع الإسلامي

دية المرأة

الشيخ صلاح الدين مقبول أحمد / الكويت

لقد سوّى الإسلام بين الذكر والأنثى في القصاص، نظرا إلى قيمتها الإنسانية المتساوية، فيقتل الرجل بالمرأة بنص كتاب الله تعالى.

(وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) [المائدة: 45]

وقد احتج الأئمة كلهم بعموم هذه الآية أن الرجل يقتل بالمرأة، لأنهما يتساويان في الإنسانية.

وعن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:
" المسلمون تتكافأ دماؤهم ...." (صحيح سنن أبي داود للألباني: رقم 2390).

ولكن فرّق بينهما في الدية حيث جُعلت دية المرأة التي تُقتل خطأ، أو التي لم يستوجب قتلها عقوبة القصاص لعدم استيفاء شروطه، بما يعادل نصف دية الرجل.

قال ابن المنذر وابن عبد البر: أجمع أهل العلم على أن دية المرأة نصف دية الرجل، لما روى معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " دية المرأة على النصف من دية الرجل" [البيهقي: 8 / 95 وقال: إسناده لا يثبت مثله] ولأنها في الشهادة والميراث على النصف من الرجل. [الموسوعة الفقهية]

"إسناده لا يثبت مثله" ، ولكن معناه صحيح مروي عن جماعة من الصحابة، ويشهد له أثر عمر – رضي الله عنه – عند ابن أبي شيبة: ".... فدية المرأة على النصف من دية الرجل". [إرواء الغليل 2250 وإسناده صحيح)

هذا هو الإجماع، وقد خالفه إسماعيل ابن علية، وعبد الرحمن بن الأصم، ولكنهما مسبوقان بإجماع الصحابة رضي الله عنهم في أن دية المرأة نصف دية الرجل. (المغني والشرح: 9 / 532)

لماذا النصف للمرأة ؟

" لأن الدية ليست تقديرا لقيمة الإنسانية في القتيل، وإنما هي تقدير لقيمة الخسارة المادية التي لحقت أسرته بفقده، هذا هو الأساس الذي لا يمارى فيه أحد".

هل خسارة الأسرة بالرجل كخسارتها بالمرأة:

لما انصرف الأمر – لسبب من الأسباب – من عقوبة القصاص إلى الدية، وهي التعويض المالي للقتيل، والأصل فيه قول الله تعالى: (.... ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ....) [البقرة: 178]

اختلف التعويض بين الجنسين إلى أهميتهما المالية في الأسرة "والتعويض المالي يجب أن تراعي فيه – كما هو من مبادئه المقررة – الخسارة المالية قلة وكثرة. فهل خسارة الأسرة بالرجل، كخسارتها بالمرأة ؟!

إن الأولاد الذين قُتل أبوهم خطأ، والزوجة التي قتل زوجها خطأ قد فقدوا معيلهم الذي كان يقوم بالإنفاق عليهم والسعي في سبيل إعاشتهم. أما الأولاد الذين قتلت أمهم خطأ، والزوج الذي قتلت زوجته خطأ، فهم لم يفقدوا فيها إلا ناحية معنوية، لا يمكن أن يكون المال تعويضا عنها".

" وقد يبدو هذا غريبا بعد أن قرر الإسلام مساواتها بالرجل في الإنسانية والأهلية والكرامة الاجتماعية.

غير أن الأمر لا علاقة له بهذه المبادئ، وإنما هو ذو علاقة وثيقة بالضرر الذي ينشأ للأسرة عن مقتل كل من الرجل والمرأة".

" إن هذا التشريع الحكيم مرتبط بنظام الإسلام في عدم تكليف المرأة بالكسب للإنفاق على نفسها وعلى أولادها رعاية لمصلحة الأسرة والمجتمع". (المرأة بين الفقه والقانون (37 – 39)، وعودة الحجاب (2/ 148– 149)، وحجة الله البالغة (2 / 152).

* * *

التوجيه الإسلامي

كيف نعالج المنكرات ؟

فضيلة الشيخ سعد بن سعيد الحجري

الحمد لله الذي كرمنا بالطاعات، وحرم علينا المنكرات، وعاقب أهلها بأشد العقوبات، وأمرنا بإنكارها في جميع الحالات، وصلى الله وسلم على رسوله كلما دامت الطاعات، وتلاشت المنكرات، وعلى آله وصحبه ومن سلك طريقه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المسلمون! اتقوا الله الواحد الأحد القيوم الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، ولم يكن له كفوا أحد، وانظروا ما قدمتم لغد، فإن الأعمال تحصى وتعد، فكونوا ممن عمل صالحا وجد، وزرع الطاعات فحصد، ولا تكونوا ممن عن الحسنات صد، ولطريق الخير سد، وللأمر بالمعروف رد، وللمنكر نشر ومد.

واعلموا أننا أمة الإصلاح، إصلاح النفس بالتقوى لنكون من أهل الجنة، وننجو من النار وتقبل بها الأعمال، فإن الله لا يتقبل إلا من المتقين. وإصلاحها بالمراقبة لنعبد الله وكأننا نراه ونتقن ما يحبه ويرضاه، فإن (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة) [يونس: 26]. وإصلاحها بالمحاسبة لتزداد من الخير وتحذر من الشر، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل، وإذا صلحت النفوس صلحت الأسر، وإذا صلحت الأسر صلحت المجتمعات، وصلاح المجتمع دلالة على الخير، والله يخلق ما يشاء ويختار، ولا يختار إلا الأخيار.

وإصلاح المجتمع وصلاحه أمن من العذاب وسعادة في الدنيا وسعادة في الآخرة، يقول تعالى: (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) [هود: 117)

وإصلاح المجتمع سلامة من لعنة الله، لأن المصلحين هم الذين أصلحوا وبينوا، قال تعالى: (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون، إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) [البقرة: 159، 160)

وصلاح المجتمع قوة وتعا ون وتآلف وإيثار حتى يكون كالجسد الواحد وكالبنيان الذي يشد بعضه بعضا، يقول صلى الله عليه وسلم: " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".

وصلاح المجتمع يحتاج إلى وقايته من المنكرات. ووقايته من المنكرات مسؤولية جميع الفئات: الصغار والكبار، الذكور والإناث، ا لرعية والرعاة، فبالوقاية من المنكر تفتح أبواب الخير وتغلق أبواب الشر، وتنتشر الفضيلة وتزول الرذيلة، ويظهر الحق ويمحق الباطل، فالمنكر عامل هدم للأسر والجماعات، وعامل إفساد للأمم والشعوب، وعامل خسارة في الدنيا والآخرة، واسمه يدل على جسمه، فهو كل ما قبّحه الشرع فجعله قبيحا في القول وقبيحا في الفعل وقبيحا في التعامل، وأهله من المقبوحين. وهو كل ما حرمه الشارع الحكيم فجعله ممنوعا لما فيه من الضرر في النفس، والضرر في المال، والضرر في الأهل، والضرر في المجتمع، والضرر في الدنيا، والضرر في الآخرة.

وحتى نتقي هذا القبح ونسلم من هذا الضرر.

فإنه ينبغي أن نعالج المنكر بعدة أمور منها:

بُغض المنكر وكراهيته، لأن الله أبغضه ونهى عنه وتوعد أهله بالعقوبة، وبغضه يكون بوقاية النفس منه حتى لا تقع فيه، فتبقى بريئة سليمة زكية على فطرتها، ولو ضعفت النفس ووافقت الهوى والشيطان وعملت المنكر فمعالجتها بالندم على فعله واقتلاعه من جميع الجوارح والعزم على السلامة منه وسد أبوابه ومداومة التوبة والاشتغال بالعمل الصالح وملازمة التقوى.

ويعالج المنكر ببغض أهله الذين اتبعوا الأهواء والشهوات وضلوا بالشبهات، وتركوا أوامر الله ووقعوا في نواهي الله وتشبهوا بأعداء الله، فبغضهم من عقيدتنا السمحة لأن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله، ومن أحب في الله وأبغض في الله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان، والواجب لهم النصيحة، فإن الدين النصيحة، ولم يورث الأنبياء غير النصيحة ، والتذكير للناس هو أمر الله تعالى لا ينتفع به إلا أهل الإيمان، قال تعالى: (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين)[الذاريات: 55]

ونعالجه أيضا ببغض مجالسه، لأنها مجالس غضب يوشك أن تنزل عليها العقوبة، ومجالس شيطان يعقد رايته فيها، ومجالس إفلاس وحسرة وندامة لخلوها من ذكر الله

تعالى، وفي الحديث: " من جلس مجلسا لم يذكر الله فيه إلا كان عليه ترة – أي حسرة وندامة – يوم القيامة" وفي رواية: ".... إلا تفرقوا من على مثل جيفة حمار".

وقد نهانا الله تعالى أن نجلس في مجالس المنكر فقال عز وجل: (وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) [النساء: 140].

وقد وصف عباد الرحمن أنهم إذا مروا باللغو مروا كراما، وورد عند البخاري أن زيد بن أرقم سمع عبد الله بن أبي في أحد مجالسه يقول: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. يقصد بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله صلى الله عليه وسلم – عياذا بالله من قوله – فقام زيد من المجلس وأخبر عمه بذلك، وأخبر عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية: (يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل .... الآية) [المنافقون: 8]

فعلى المسلم أن يهجر مجالس المنكر، ويهجر أهلها، ويستبدلهم بمن هو خير منهم، إلا أن يعمل على إصلاحها بالموعظة الحسنة فهذا أمر مطلوب، وقد أرشد الذي قتل مائة نفس بهجر مجالسه التي عصى الله فيها وتغييرها بمجالس الصالحين فتاب الله عليه، وقدقال لقمان الحكيم لابنه: " يا بني، إذا جئت إلى مجلس قوم فاسمع ما يقولون، فإن كان خيرا فاجلس، وإن كان غير ذلك فارحل".

ويعالج المنكر بإنكاره باليد لإزالته بالكلية ومنع الناس منه، وهذا للأمراء الذين يتولون أمر الرعية ولديهم السلطة، والأولياء وهم الآباء والأمهات والإخوان في منازلهم والأسياد مع عبيدهم والمعلمون إن استطاعوا ذلك مع طلابهم، ولهم ثواب التغيير وزوال المنكر، وعليهم إثم بقائه لأنهم رضوا به مع القدرة على إزالته، وقد شرع الإسلام الأحكام الشرعية لبيان التغيير باليد، فشرع القصاص لمن قتل عمدا حتى تسلم النفوس، قال تعالى: (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون) [البقرة: 179]، وأمر بحد الزنا على من انتهك عرضا حتى تسلم الأعراض، وأمر بحد السرقة على من سرق مالا حتى تسلم الأموال، وأمر بحد الخمر على من سكر حتى تسلم العقول، ولو لم تغيّر هذه المنكرات با ليد لاستفحل الشر وانتشر الفساد. وفي التغيير باليد استئصال للمنكر، وسد لأبوابه،

وحماية للأفراد والجماعة من شره، وإقامة للمعروف، ونشر للأمن، وإعانة على الحق، ودحض للباطل.

ويعالج المنكر بإنكاره باللسان، وهذا للعلماء الذين تعلموا العلم وعرفوا الحق، وليس المراد بهم الراسخين في العلم فحسب، بل كل من تعلم علما فينكر به، وهذا يدل على أن مسؤولية طلاب العلم جسيمة، ويكون ذلك بالمواعظ والدروس التي يُذكّر بها الناس، فإن الله أمر بالتذكير فقال عز وجل: (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) [الذاريات: 55]، والمواعظ للقلوب كالسياط للأبدان، تستيقظ بها وتتحرك بها وتسمع بها وتبصر بها، والعلم للقلوب كالغيث الذي يحييها وينبت فيها الإيمان، فتسمع الحق وتعيه ثم تعمل به ثم تدعو إليه.

وليعلم الداعية أنه بالدعوة أحسن الناس قولا، وبها يكون من أهل الجماعة والكمال والحسن والنضارة، وبها يكون من أ كثر الناس أجرا، وبها يدوم عمله بعد موته فلا ينقطع، وبها يصلي عليه الرب تعالى وأهل سماواته وأهل أرضه، حتى النمل في جحرها والحيتان في بحرها. وقد أمر الله بالدعوة فقال: (ادع إلى سبيل ربك) [النحل: 125]. وأمر بها الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: "بلغوا عني ولو آية" ،وجعل الدين النصيحة، يقول ﷺ: "الدين النصيحة". وكان الدين النصيحة لأن المؤمنين كالجسد الواحد وكالبناء الواحد، ولحاجة الناس إذ ينسون ويغفلون، والنصيحة علامة الإخلاص وعلامة الصدق وعلامة الإيمان، وهي أمن من العذاب، وهي سفينة النجاة، وهي خيرية هذه الأمة، وهي صفة الأنبياء، وهي ربح الدنيا والآخرة. وتجب لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

ويكون الإنكار بإهداء الأشرطة النافعة التي تعالج عشرات المنكرات، وتبين الداء ثم تضع عليه الدواء، وقد نفع الله بالأشرطة كثيرا ممن كان من أهل المنكرات، فقد ورد أن امرأة ك انت ترى ابنها يسمع الغناء ولا يتورع في كثير من المنكرات، وبذلت جهدها معه في دعوته وإصلاحه فأبى، فطلبت منه أمه أن يسافر بها إلى إحدى قريباتها، ليجتمع في السفر دعوة المسافر ودعوة الوالد وهما مجابتان كما في الحديث: "ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالد لولده، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر" فوافق على شرط ألا تمنعه من الغناء، فقالت: يا بني، العدل مطلوب، لك نصف الطريق ولي نصفه الآخر. فوافق على أن يبدأ هو. فسافرت معه وهو يسمع الغناء وهي مشغولة بالذكر والدعاء، فلما انتهى زمنه أعطته

شريطا من أشرطة الذكر يسمعه، فلما سمعه استيقظ من غفلته وسمع كلاما ما سمعه من قبل ذلك، فرقّ قلبه ودمعت عيناه وتاب على يد أمه وأصلحه الله وأصلح به، والسبب شريط واحد، ولو أن كل واحد منا أخذ كل أسبوع شريطا إسلاميا يحمل في طياته الذكر والموعظة والنصيحة والتوجيه والإرشاد – ولا يزيد على ثلاث ريالات أو أقل – وأهداه، لأنكر به منكرات كثيرة ودل به على طاعات كثيرة، ولنال بذلك أعظم الثواب، ولكان له مثل أجر من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيء.

ويكون الإنكار بدعوة أهل المنكر في أماكنهم، ومن ذلك أن النبي ﷺ ذهب إلى عبدالله بن أبي في منزله يدعوه، وذهب إلى بيت كبير اليهود، وعاد يهوديا في مرضه ودعاه للإسلام. وليعلم صاحب الغيرة أن ذلك أجدى وأنفع، وقد مر شاب صالح بشباب على رصيف يلهون ويلعبون فلما رأوه سكتوا عن لهوهم إلا واحدا ضاق صدره به، ومن ضيق صدره به أطلق عليه اللعنة، فصبر الداعية وكأنه ما سمعها، ونصحهم وبين لهم عواقب المنكرات، ثم تركهم وهو يدعو لهم بالهداية، وبعد زمن طويل لقيه رجل صالح فحيّاه وسلم عليه وقال: أتعرفني؟ قال: لا، قال: أنا صاحب اللعنة، هداني الله بموعظتك !! فهل يحرص طلاب العلم على هداية الناس؟ وهل يستشعرون أهمية الدعوة ؟ وهل يوقنون أن غذاء القلوب أولى من غذاء الأبدان وأن بذل العلم أولى وأنفع من بذل المال؟.

ويكون بإهداء الكتب النافعة أو المطويات القصيرة، فإنها تحفظ الوقت، وتغذي الروح وتطرد الشيطان، وتوقظ القلب وتذكر بالرب وتحول دون الذنب، ويكون بالرسائل التي تصدر من القلب إلى القلب، وهي أرق في النصح وأصدق في العبارة وأقوى في التأثير، وقد أرسل ﷺ رسائله إلى الملوك والرؤساء فدعاهم إلى الله وأنكر ما هم عليه من الشرك ودعاهم إلى الإسلام، فنفع الله بها وتحقق بذلك الخير العميم والنفع العظيم. وكم من رسالة فتح الله بها قلوبا غلفا وأعينا عميا وآذانا صما، وكم من مطوية طوى الله بها الظلام وحفظ الله بها الأيام وهدى الله بها الأنام وغفر الله بها الآثام، فلا يستقل المسلم عمله، ولا ييأس من دعوته، وما على الرسول إلا البلاغ المبين.

ويعالج المنكر بالتذكير بعواقب المنكر، فمن عواقبه:

أنه تنكر للعبودية فما كأنه عبد لله، والعبودية هي الوظيفة التي خُلق الإنسان من أجلهاوما سمي إلا بها، وهي حق الله تعالى عليه، وبها يتشبه بالملائكة ويقتدي بالرسل

ويتحرر من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، وهي الطريق إلى الجنة، وبها يسلم من الشيطان، وبها تغفر الذنوب.

ومن عواقبه التنكر لنعم الله التي لا تعد ولا تحصى، وهي في السماء وفي الأرض وفي النفس، وصاحب المنكر كأنما ينكرها ويجحدها مع أنه لن يستطيع أن يؤدي شكر واحدة منها فكيف وهي بالمئات.

ومن عواقبه التنكر للآخرة إذ لا تخطر له على بال، فكأنه ما خلق إلا للدنيا ونسي أن من كانت الدنيا أكثر همه شتت الله عليه شمله وفرّق أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة أكبر همه جمع الله شمله ويسر أمره وجعل غناه في قلبه وجاءته الدنيا راغمة، فأهل المنكر كأنما ينكرون الآخرة بأعمالهم.

ومن عواقبه أنه إثم عظيم تنكره الفطرة السليمة التي فطر الإنسان عليها وهي فطرة التوحيد وفطرة الطاعة وفطرة الاستقامة على الطريق المستقيم (فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) [الروم: 30]، وتنكره العقول السليمة التي تعقل الحق والصواب فتتبعه وتنعقل عن الباطل والعذاب فتجتنبه، وي نكره الكتاب الحكيم الذي يهدي إلى الطريق القويم ويأمر بالطاعة وينهى عن المعصية، وتنكره السنة التي ملئت بالأحاديث التي تنكر المنكر وتحذر منه وتتوعد أهله.

ومن عواقبه أنه نهي نهى الله عنه ويجب أن ننتهي عنه وأن نقول: (وما نهاكم عنه فانتهوا) [الحشر: 7]، أو يقول ﷺ: "وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه".

ومن عواقبه أنه معصية من المعاصي التي توجب ظلام القلب وسواد الوجه وضعف البدن ومحق الرزق وبغض الخلق، وتستوجب غضب الرب، وتقود صاحبها إلى الانحراف والميل عن الصراط المستقيم وإلى الاقتداء بالشيطان الرجيم، وهي سبب في ضياع العمر وضياع الجوارح والهلاك في الدنيا والآخرة.

ومن عواقبه أنه صفة من صفات المنافقين الذين يقولون ما لا يفعلون، ويكيلون بمكيالين، ويتعاملون بوجهين، ويعملون عملين: ظاهر للبشر وباطن لله، همهم الرياء والسمعة، يرضون الناس بسخط الله، عاقبهم الله بأشد العقوبات إذ وصفهم بالكذب وأظهر عداوتهم، وأوجب عليهم غضبه وسخطه وجعلهم أول من تسعر في الدرك الأسفل من النار، وحذّر منهم ومن صفاتهم، وجعلهم أول من تسعر النار به لكثرة منكراتهم، وهم العدو

الحقيقي، قال تعالى: (هم العدو فاحذرهم) [المنافقون: 4] ، وهم الملعونون الذين يستحقون اللعنـة في كـل مكـان، قـال تعـالى: (ملعـونين أينمـا ثقفـوا أخـذوا وقتلـوا تقتـيلا) [الأحزاب: 61].

ومن عواقبه أنه سبب من أسباب العذاب في الدنيا، قالت أم المؤمنين زينب بنت جحش: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: "نعم، إذا كثر الخبث" أي إذا كثر الفسق والفجور والمنكر. وأ ول ما دخل النقص على بني إسرائيل أن الرجل كان ينكر المنكر ويقول: اتق الله ولا تفعل كذا، ثم رضي بالمنكر فجلس مع العاصي وآكله وشرب معه ولم ينكر عليه، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) [المائدة: 78، 79].

وقال رسول الله ﷺ: " والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ثم تدعونه فلا يستجاب لكم"، وفي بعض الآثار أن الله أمر جبريل أن يقلب قرية كذا على أهلها، فقال: إن فيهم عبدك فلان، قال: "به فابدأ فإن وجهه لم يتمعر فيّ قط" أي لم ينكر المنكر ولم يبغضه ويبغض أهله.

ومن عواقبه أنه سبب من أسباب العذاب في الآخرة، ففي الحديث: "يؤتى بالرجل يوم القيامة فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان، ما لك؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه". وقد جعل الله إتيان المنكر أكبر المقت، والمقت هو شدة البغض وغاية الكره، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) [الصف: 2، 3].

ومن عواقبه تسلط الأعداء علينا لأن الله وعدنا بالنصر والتمكين إن أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر، وهذا يدل على أن تركه حرمان من النصر ومن التمكين في الأرض وتسليط للأعداء، قال أبوالدرداء رضي الله عنه: " لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما، لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم، وتدعون فلا يستجاب لكم، وتستنصرون فلا تنصرون، وتستغفرون فلا يغفر لكم"، وقال عمر رضي الله عنه: "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام".

وقد ورد أن أحد ملوك النصارى أراد غزو المسلمين فقال أحد مستشاريه: لا تغزُهم حتى أنظر، فلما نظر وجد المنكر ينكر والمجتمع سليم من المنكرات فقال: لا تستطيع غزوهم لأنهم كالجسد قوة. فلما تُرك المنكر، وهُزَّ المجتمع بأمراض المعاصي، وضعف بالمنكرات، غزاهم فانتصر عليهم.

ومن عواقبه فساد القلوب وظلمتها وقسوتها وانتكاستها وإعراضها، وفساد الجوارح وتعطلها عن الخير وانشغالها بالشر، وفساد الأولاد وخراب البيوت، فيخسر الإنسان بالمنكر نفسه ويخسر ولده وأهله، ألا ذلك هو الخسران المبين، قال تعالى: (قل إن الخاسرين الذ ين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين) [الزمر: 15].

ومن عواقبه فساد الأخلاق وهلاك المجتمع وانتشار الرذائل وانحسار الفضائل ونحو ذلك.

يعالج المنكر بمعرفة فضائل إنكار المنكر إذ هو أمر الله، قال تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأ مرون بالمعروف وينهون عن المنكر) [آل عمران: 104]، وهو وظيفة الرسل عليهم السلام، والجنة عن طريقهم والفلاح في الاقتداء بهم، وهو من علامات الإيمان (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) [التوبة: 71]، وأهله هم خير الناس، قال تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس ... الآية) [آل عمران: 110]،وهو من أنواع الصدقة، ففي الحديث: "نهيك عن المنكر صدقة".

ويعالج المنكر بإنكاره بالقلب، وهذه أضعف درجة وليس بعدها إيمان، والإنكار بالقلب واجب على كل مسلم لا يعذر به أحد، ولا ينكر المنكر إلا القلب الصالح الذي بصلاحه يصلح الجسد وبفساده يفسد الجسد، والإنكار بالقلب يدل على الإيمان وعلى حب الطاعة وبغض المعصية، والقلب الذي ينكر المنكر يمنع اللسان من قول المنكر ويمنع الأذن من سماعه ويمنع البصر من النظر إليه ويمنع المسلم من الجلوس في مجالسه، يقول ﷺ: "من رأى منك م منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان".

ويعالج المنكر بالإخلاص. والإخلاص هو تجرد العبد عمن سوى الله، والانقياد والاستسلام لله، وجعل الصلاة والنسك والمحيا والممات لله، وجعل الظاهر والباطن لله تعالى، وجعل الأقوال و الأفعال والتعامل لله تعالى، واستواء العمل في الخلوة والجلوة، ومراقبة الله

في كل زمان وفي كل مكان، وبالإخلاص يأتمر العبد بكل أمر شرعي وينتهي عن كل نهي سماوي، وبالإخلاص يسلم العبد من النفاق ومن الشيطان ومن النار، وبه يدخل الجنة. ومن الإخلاص أن رجلا صالحا غيو را مخلصا علم بشجرة تعبد من دون الله تعالى فذهب ليقطعها وأخذ فأسه وذهب إليها، وفي الطريق اعترضه الشيطان وأراد أن يثنيه فأبى حتى انتصر على الشيطان وصرعه بإخلاصه.

ويعالج المنكر بالعلم بالمنكر والأدلة على تحريمه والتحذير منه، فإن العلم نور، والمنكر ظلام، والعل م طريق إلى الجنة، والمنكر طريق إلى النار، والعلم صحبة للملائكة، والمنكر صحبة للشياطين، والعلم رحمة، والمنكر عذاب، والعلم سكينة، والمنكر انحراف، والعلم مغفرة للذنوب، والمنكر إصرار على الذنوب، والعالم كالطبيب، وصاحب المنكر كالمريض، فعلى الطبيب أن يعالج مريضه.

ويعالج المنكر بالرفق، فإن الرفق ما وُجد في شيء إلا زانه ولا فقد من شيء إلا شانه، والله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، قال تعالى: (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) [آل عمران: 159]. وقد أنكر ﷺ على الأع رابي الذي بال في المسجد برفق، وأنكر على طالب الزنا برفق، فكانت الثمرة زوال المنكر واستقامة أهله.

ويعالج المنكر بالصبر والتحمل وعدم الانتصار للنفس، فإن الصبر أوسع العطاء وهو أجزل وفاء وهو الضياء، بشّر الله أهله بالصلاة عليهم والرحمة والهداية، وبالصبر يدفع ا لإنسان بالتي هي أحسن، ويكظم غيظه، وينال مراده، ويصل إلى قلوب الناس، قال تعالى: (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم،وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) [فصلت: 34، 35]. وهكذا كان ﷺ فزال المنكر ودخل الناس في دين الله أفواجا.

فهلا عملنا على علاج المنكر، لنؤدي الأمانة، ونرضي الرب، ونقتدي بالرسول ﷺ، ونحب للغير ما تحبه للنفس، ونحرص على صلاح المجتمع، ونأمن به من العذاب، وننشر الأمن، ونظفر بالمطلوب، وننجو من المرهوب. أسأل الله التوفيق والسداد، والصلاح والإصلاح، والنفع والفلاح.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

* * *

التوجيه الإسلامي

مشكلة.. غلاء الأسعار، كيف عالجها الإسلام؟

د. بدر عبد الحميد هميسة

مشكلة غلاء الأسعار من المشكلات التي تواجه الشعوب والأفراد، وقد يكون لها أسبابها الطبيعية والمنطقية، فزيادة سعر المواد الخام وزيادة أسعار تكلفة الأشياء وتصنيعها ونقلها قد يكون سببا منطقيا لارتفاع الأسعار.

لكن إذا كان هذا الارتفاع غير منطقي وغير طبيعي فإن له أسبابه غير المنطقية وغيرالطبيعية، فقد يكون حب الترف والحرص عليه من أهم أسباب هذا الغلاء، ومن هنا فقد حذرنا الإسلام تحذيرا شديدا من الترف والحرص عليه، لأن الترف سبب لفساد الأمم ومن ثم هزيمتها وسقوطها، بل أشد من ذلك من الركون إلى الدنيا ورغبتها عن الآخرة، ولقد ورد الترف في القرآن في مورد الذم والاقتران بالكفر والعصيان، قال تعالى: (فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين، وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) [هود: 116 – 117)

وقال: (وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشرمثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) [المؤمنون: 33). وقال: (وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون. وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين. قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون) [سبأ: 34 – 36].

وعن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث به إلى اليمن قال: "إياك والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين". رواه أحمد والبيهقي ورواة أحمد ثقات (صحيح الترغيب والترهيب 2 / 246).

ولقد أدرك الصحابة رضي الله عنهم خطورة التنعم والترفه ولاسيما بعد أن اتسعت موارد الدولة وكثر المال بسبب الفتو حات، فكانوا يتعاهدون بعضهم بالنصح، وفي صحيح مسلم (ص 311 – 606) عن أبي عثمان النهدي قال: كتب إلينا عمر رضي الله عنه: "يا عتبة بن فرقد، إنه ليس من كدّك ولا من كد أبيك ولا كد أمك، فأشبع المسلمين في رحالهم

مما تشبع منه في رحلك، وإياك والتنعم وزي أهل الشرك، ولبوس الحرير" وهو في مسند أبي عوانة الإسفرائيني وغيره بإسناد صحيح.

فلسوف يسأل المرء عن كل نعمة وهبها الله تعالى له، قال تعالى: (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) [التكاثر: 8].

عن الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزم الأشعري قال: سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة – يعني العبد – من النعيم أن يقال له ألم نصح لك جسمك ونرويك من الماء البارد ؟!" أخرجه الترمذي (3358) السلسلة الصحيحة (539)، المشكاة (5196).

ودخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على ابنته حفصة – رضي الله عنها – فقدمت إليه مرقا باردا وصبت عليه زيتا، فقال: "أدمان في إناء واحد؟ لا آكله حتى ألقى الله عزوجل".

وقال الأشعث بن قيس لما طلب أن يلين اللحم بالزيت: "أدمان في أدم؟ كلا، إني لقيت صاحبيّ وصحبتهما فأخاف إن خالفتهما أن يخالف بي عنهما ولا أنزل معهما حيث ينزلان".

ولما قدم وفد ا لبصرة ومعهم أميرهم أبوموسى الأشعري رضي الله عنه أطعمهم عمر رضي الله عنه من طعامه، فرأى كراهتهم فقال: " أيها القوم إني والله لقد أرى كراهيتكم طعامي، وإني والله لو شئت لكنت أطيبكم طعاما"، ثم قال: "ولكني سمعت الله جل ثناؤه عيّر قوما بأمر فعلوه فقال: "(أذهبتم ط يباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ..)".

بل إن السلف كانواينهون عن مجالسة المترفين خوفا من العدوى، قال المروزي: سمعت أبا عبد الله – أحمد بن حنبل – وذكر قوما من المترفين فقال: "الدنو منهم فتنة والجلوس معهم فتنة". (الورع) للمروزي (82).

والنصوص المحذرة من الترف لم تأت من فراغ وإنما حُذر المؤمنون منه لما فيه من مفاسد، ومن هذه المفاسد:

1 – أن الترف والتنعم مؤد إلى التنافس على جمع الدنيا.

وبذلك تحصل الخصومة المؤدية إلى التفرق والقتال، قال تعالى: (حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجارون، لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون، قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتمعلى أعقابكم تنكصون، مستكبرين به سامرا تهجرون) [المؤمنون: 64 – 67]

عن خولة بنت قيس رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا مشت أمتي المطيطاء (التبختر) وخدمتهم فارس والروم، سلط بعضهم على بعض". أخرجه ابن المبارك في (الزهد) (رقم 187) والترمذي (2 / 42 – 43) الألباني في (السلسلة الصحيحة: 2 / 679)

2 – أن الترف والتنعم من أسباب قسوة القلب ونسيان الآخرة.

ولذا فأهل التنعم هم شرار هذه الأمة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "إن شر ار أمتي الذين غُذوا بالنعيم، ونبتت عليه أجسادهم". أخرجه أحمد في (الزهد) (ص 77) وابن أبي الدنيا في (الجوع: ق 9 / 1 (السلسلة الصحيحة: 4 / 513).

3 – أن الأمة المترفة أسرع إلى الفناء والهزيمة من غيرها.

قال تعالى: (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) [الإسراء: 16]

قال الرازي في (تفسيره): في الآية مسائل:

المسألة الأولى: قوله: "أمرنا مترفيها" في تفسير هذا الأمر قولان:

القول الأول: أن المراد منه الأمر بالفعل، ثم إن لفظ الآية لا يدل على أنه تعالى بماذا يأمرهم، فقال الأكثرون: معناه أنه تعالى يأمرهم بالطاعات والخيرات، ثم إنهم يخالفون ذلك الأمر ويفسقون.

وقد قال ابن خلدون في الفصل الثامن عشر من (مقدمته): "وانغماس القبيل في النعيم، وسبب ذلك أن القبيل إذا غلبت بعصبيتها بعض الغلب استولت على النعمة بمقداره، وشاركت أهل النعم والخ صب في نعمتهم وخصبهم، وضربت معهم في ذلك بسهم وحصة بمقدار غلبها واستظهار الدولة بها. فإن كانت الدولة من القوة بحيث لا يطمع أحد في انتزاع أمرها ولا مشاركتها فيه، أذعن ذلك القبيل لولايتها، والقنوع بما يسوغون من نعمتها ويشركون فيه من جبايتها، ولم تسم آمالهم إلى شيء من منازع الملك ولا أسبابه، إنما همتهم النعيم والكسب وخصب العيش والسكون في ظل الدولة إلى الدعة والراحة والأخذ بمذاهب الملك في المباني والملابس، والاستكثار من ذلك والتأنق فيه بمقدار ما حصل من الرياش والترف وما يدعو إليه من توابع ذلك، فتذهب خشونة البداوة وتضعف العصبية والبسالة، ويتنعمون فيما آتاهم الله من البسطة، وتنشأ بنوهم وأعقابهم في مثل

ذلك من الترفع عن خدمة أنفسهم وولاية حاجاتهم، ويستنكفون عن سائر الأمور الضرورية في العصبية، حتى يصير ذلك خلقا لهم وسجية فتنقص عصبيتهم وبسالتهم في الأجيال بعدهم يتعاقبها إلى أن تنقرض العصبية، فيأذنون بالانقراض. وعلى قدر ترفهم ونعمتهم يكون إشرافهم على الفناء فضلا عن الملك". (مقدمة ابن خلدون: 69)

1 – تربية الضمير على التقوى والمراقبة:

الدليل على ذلك قوله تعالى: (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأ رض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون) (الأعراف: 96)، وقال تعالى: (ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم، ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون) (المائدة: 65 – 66)، فالتقوى هي سبب لسعة الأرزاق والبركة فيها، قال تعالى: (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) (الطلاق).

2 – كثرة الاستغفار والدعاء:

الدليل قوله تعالى: (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا) (نوح)، قال ابن صبيح: " شكارجل إلى الحسن البصري الجدوبة فقال له: استغفر الله، وشكا آخر إليه الفقر، فقال له: استغفر الله. وقال له آخر: ادع الله أن يرزقني ولدا، فقال له: استغفر الله. وشكا إليه آخر جفاف بستانه، فقال له: استغفر الله". فقلنا له في ذلك ؟ فقال: "ما قلت من عندي شيئا، إن الله تعالى يقول في سورة نوح: (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا)". (تفسير القرطبي: 18 / 302).

3 – التكافل الاجتماعي وأداء الزكاة والصدقات:

الزكاة عون للفقراء والمحتاجين، تأخذ بأيديهم لاستئناف العمل والنشاط إن كانوا قادرين، وتساعدهم على ظروف المعيشة إن كانوا عاجزين، فتحمي المجتمع من الفقر والدولة من الإرهاق والضعف، وعدم إخراج الزكاة سبب من أسباب البلاء والغلاء، ومن أسباب العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع لغياب التكافل فيما بينهم، أما إخراج الزكاة فهو سبب البركة وسبب المحبة والمودة بين أفراد المجتمع، قال صلى الله عليه وسلم: "من

كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له" (صحيح: صحيح الجامع: 6497)

4 – التربية على الرضا والقناعة بما قسم الله تعالى:

قال صلى الله عليه وسلم: "وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس" (حسن: صحيح سنن الترمذي: 1876)، وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة بن الزبير: "ابن أختي، إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار، يعني لا يطبخون شيئا، قال عروة، فقلت: ما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء" (رواه البخاري: 6459، ومسلم: 2973)

وعن سعيد الطائي، أبي البختري، أنه قال: حدثني أبوكبشة الأنماري، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " ثلاثة أقسم عليهن، وأحدثكم حديثا فاحفظوه، قال: ما نقص مال عبد من صدقة ، ولا ظلم عبد مظلمة، فصبر عليها، إلا زاده الله عزا، ولا فتح عبد باب مسألة، إلا فتح الله عليه باب فقر، أو كلمة نحوها، وأحدثكم حديثا فاحفظوه، قال: إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالا وعلما، فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه ، ويعلم لله فيه حقا، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا، فهو صادق النية، يقول: لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان، فهو بنيته، فأجرهماسواء، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما، فهو يخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقا، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما، فهو يقول: لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته، فوزرهما سواء. أخرجه أحمد: 4 / 231 (18194) والترمذي (2325) صحيح، وابن ماجه (4228).

روى جابر قال رأى عمر لحما معلقا في يدي فقال: ما هذا يا جابر؟ فقلت: اشتهيت لحما فاشتريته، فقال: أو كلما اشتهيت اشتريت يا جابر؟ أماتخاف هذه الآية: (أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا). ابن مفلح: (الآداب الشرعية: 3 / 341).

قال الخليفة هشام بن عبد الملك لسالم بن عبد الله بن عمر عند الكعبة: "سلني حاجتك"، فقال: "والله إني لأستحيي أن أسأل في بيته غيره". فلما خرج من المسجد قال هشام: "الآن خرجت من بيت الله فاسألني"، فقال: " من حوائج الدنيا أم الآخرة؟" قال: "من حوائج الدنيا"، فقال سالم: " ما سألتها ممن يملكها، فكيف أسألها ممن لا يملكها؟!" "(الصفدي: الوافي بالوفيات: 15 / 54).

5 – التربية على الاعتدال ونبذ الترف والإسراف:

ومن الترف المستشري في المجتمع الإكثار من المطعومات كما ونوعا، وقد ذكر بعض أطباء المسلمين أن الله تعالى جمع الطب في نصف آية وهي قوله: (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) (الأعراف: 31)

قال النبي صلى الله عليه وسلم كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة وقال ابن عباس: "كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك اثنتان سرف أو مخيلة". (الألباني (صحيح النسائي: 2399).

والسرف المذموم في الأكل والشرب نوعان: التخليط والتنويع في الطعام والإكثار منه والسمنة الناتجة عنهما.

فأما التخليط والتنويع في الطعام فقد ورد ذمه بصيغ شتى، فمن ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حذر من أقوام همهم بطونهم وشهواتهم،فيكثرون من التنويع في الأطعمة والأشربة، فقد روى الطبراني عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سيكون رجال من أمتي يأكلون ألوان الطعام، ويشربون ألوان الشراب، ويلبسون ألوان اللباس، ويتشدقون في الكلام، فأولئك شرار أمتي". (صحيح الترغيب والترهيب: 2 / 232).

قال تعالى: (ولا تبذر تبذيرا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) (الإسراء: 26 – 27)فلو أن كل مسلم التزم شرع الله تعالى في أفراحه لتغلب على غلاء الأسعار على الأقل على مستوى أسرته، ولو أن كل مسلم التزم شرع الله تعالى في أحزانه ولم ينفق الأموال الطائلة على إقامة السرادقات واستئجار المقرئين وغير ذلك لتغلب على مشكلة غلاء الأسعار على الأقل على مستوى أسرته.

6 – مقاومة الاحتكار والاستغلال:

الاحتكار معناه: تخزين السلع والبضائع الخاصة بأقوات الناس حتى تنفد من السوق ويرتفع سعرها، ثم يبيعها بأضعاف أضعاف سعرها الأول، وهذا حرام، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يحتكر إلا خاطئ" (صحيح: رواه مسلم: 1605)، والخاطئ: هوالعاصي الآثم. قال العلماء: الحكمة في تحريم الاحتكار: دفع الضرر عن عامة الناس، كما أجمع العلماء على أنه لو كان عند إنسان طعام، واضطر الناس إليه، ولم يجدوا غيره، أجبر على بيعه دفعا للضرر عن الناس. (انظر صحيح مسلم بشرح النووي: 5 / 346).

فمن أسباب غلاء الأسعار تصرفات وسلوكيات رجال الأعمال من تجار ومصنعين ووسطاء المخالفة لأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية مثل: الاحتكار والتكتلات المغرضة، والغش، والتطفيف،وانخفاض الجودة، ونحو ذلك، ولقد نهى الإسلام عن هذه السلوكيات الاقتصادية السيئة.

عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم: " من احتكر طعاما أربعين ليلة فقد برئ من الله تعالى وبرئ الله تعالى منه، وأيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله تعالى" أخرجه أحمد (2 / 33، 4880).

فيجب منع الاحتكار بكافة صوره وأشكاله وحيله، ويجب على ولاة الأمر اتخاذ التدابير لحماية المستهلك من التجار الجشعين الذين لا يهمهم إلا انتفاخ جيوبهم.

7 – ثقافة التعامل مع الغلاء:

جاء في الأثر أن الناس في زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاءوا إليه وقالوا: نشتكي إليك غلاء اللحم فسعّره لنا، فقال: ارخصوه أنتم؟ فقالوا: نحن نشتكي غلاء السعر واللحم عند الجزارين، ونحن أصحاب الحاجة فتقول: ارخصوه أنتم؟ وهل نملكه حتى نرخصه؟ وكيف نرخصه وهو ليس في أيدينا؟ فقال قولته الرائعة: اتركوه لهم.

بل إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يطرح بين أيدينا نظرية أخرى في مكافحة الغلاء، وهي إرخاص السلعة عبر إبدالها بسلعة أخرى، فعن رزين بن الأعرج مولى لآل العباس، قال: غلا علينا الزبيب بمكة، فكتبنا إلى علي بن أبي طالب بالكوفة أن الزبيب غلا علينا، فكتب: أن أرخصوه بالتمر، أي استبدلوه بشراء التمر الذي كان متوافرا في الحجاز وأسعاره رخيصة، فيقلّ الطلب على الزبيب فيرخص، وإن لم يرخص فالتمر خير بديل.

فاللهم ارفع عنا الغلاء والوباء والشقاء،واقنعنا بما رزقتنا، وارزقنا الحلال وبارك لنا فيه.

(مع الشكر لمجلة الفرقان الكويتية)

***

تصحيح المفاهيم

ذم القصاص

د. علي بن عبد العزيز الشبل

من ذم السلف وكبار التابعين رحمهم الله للمبتدعة ذمهم للقصاص، وهم طائفة ابتدأ وجودهم في آخرالقرن الأول، وفي عهد صغار الصحابة رضي الله عنهم، أضحوا يعظون الناس بمواعظ القصص والأخبار الضعيفة والمتلقاة عن بني إسرائيل أرادوا بها تليين القلوب، وكانوا يمزجونها بآيات الوعد الوعيد في القرآن، وكذا ما جاء في السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وربما استغلوا بعض المناسبات التي يرونها مناسبة في المساجد ويوم الجمعة وعند دفن جنائز الموتى في المقابر، والمجامع العامة، فرتبوا بها مجالس القصص.

هذا المسلك وإن كان ظاهره ومقصده حسنا، لكن مضمونه ووسيلته لم تكن معروفة لدى الصدر الأول من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكبار أتباعهم على قاعدة "وكم من مريد للحق لم يصبه" وقد قالها ابن مسعود لمتعبدة جامع الكوفة بعد ذكرهم لله عز وجل.

والذي رأيته بوضوح من خلال الآثار المجموعة عند كبار التابعين، بل الصحابة رضي الله عن الجميع، الإنكار على هؤلاء القصاص والمذكرين بالقصص والأخبار المتلقاة عن الأمم السابقة لوعظ الناس وتزهيدهم.

أقول الإنكار عليهم ومواجهتهم، بل ومكافحتهم ومنعهم من القصص عن الناس أو نصب مجالسهم في المساجد، الا من كان قصصه وتذكيره ووعظه مستمدا من أدلة الوحيين: الكتاب والسنة الصحيحة.

فلقد منع عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهو فقيه الحرم المكي، منع القصاص من القصص في المسجد الحرام إلا عبيد بن عمير الليثي حيث كان وعظه مستمدا من كلام الله وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم، كما سيأتي طرف من آثاره على جهوده رحمه الله المقرونة باسمه.

بل كان ابن عباس وعبد الله بن عمر بن الخطاب وغيرهما من الصحابة يجلسون في مجالس وعظ عبيد بن عمير الليثي، وربما تأثروا بوعظه فأخضلت لحاهم بالبكى.

سبب منع ا لسلف والصحابة من القصاص والتحذير منهم هو خوفهم اشغال هؤلاء الناس عن الوعظ والاتعاظ بنصوص الوعد والوعيد في الكتاب والسنة، وإشغالهم بالقصص والاخبار والروايات الضعيفة أو الواهية، وأخبار بني إسرائيل، ما يصرفهم عن القرآن والسنة، ويعلق قلوبهم وخوفهم ورغبتهم بتلكم الأخبار و القصص والروايات غير الموثوقة، فيعظموها ويستهينوا بكلام الله عز وجل، وصحيح حديث النبي صلى الله عليه وسلم، فتقل هيبتها وتعظيمها ما في قلوبهم وأسماعهم!

فهذا موقف من مواقف السلف تجاه الفتن وأسبابها وبواعثها، وذمهم وتحذيرهم من القصاص سد لباب الجهل وا لفتنة والقول في دين الله، وعلى الله بلا علم، وفق الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالح، الله أعلم. ***

آداب إسلامية

آداب الصلاة

(6)

الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، جاركند

68- من الأدب أن يقف المأموم الواحد عن يمين الإمام، وأنه إذاوقف عن يساره يتحول إلى يمينه، وأنه إذا لم يتحول حوله الإمام، وأن الفعل القليل لا يبطل الصلاة، وأن صلاة الصبي صحيحة، وأن له موقفا من الإمام كالبالغ وأن الجماعة في غير المكتوبات صحيحة.

فعن ابن عباس قال: بتُّ ليلة عند خالتي ميمونة، فقام النبي صلى الله عليه وسلم من الليل فأتى حاجته، ثم غسل وجهه ويديه، ثم نام، ثم قام، فأتى القربة فأطلق شناقها ثم توضأ وضوء بين الوضوءين ولم يكثر، وقد أبلغ ثم قام فصلى، فقمت فتمطيت كراهية أن يرى أني كنت أنتبه له، فتوضأت، فقام فصلى فقمت عن يساره، فأخذ بيدي فأدارني عن يمينه. [1] الحديث.

ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بالليل، الذي كان يقوله إذا قام من الليل ما يلي:

1 – اللهم اجعل في قلبي نورا، وفي بصري نورا، وفي سمعي نورا، وعن يميني نورا، وعن يساري نورا، وفوقي نورا، وتحتي نورا، وأمامي نورا، وخلفي نورا، وعظّم لي نورا. [2]

2 – اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض، ولك الحمد أنت قيّام السماوات والأرض، ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض، ومن فيهن، أنت الحق وعدك الحق وقولك الحق، ولقاءك حق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وأسررت وأعلنت، أنت إلهي لا إله إلا أنت. [3]

---

[1] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ودعائه الخ.
[2] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ودعائه الخ.
[3] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الخ.

كان النبي صل ى الله عليه وسلم يقول هذا الدعاء إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل.

3 – اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم. [1]

كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته إذا قام من الليل بهذا الدعاء.

4 – وجّهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك. [2]

كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة بالليل قال هذا الدعاء المذكور. وكان إذا ركع قال: " اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي".

وإذا رفع قال: "اللهم ربنا لك الحمد ملأ السماوات وملأ الأرض وملأ ما بينهما وملأ ما شئت من شيء بعدُ".

وإذا سجد قال: " اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوّره وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين". [3]

69 – يستحب أن تقرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران عند القيام من النوم. عن كريب مولى ابن عباس أن ابن عباس أخبره أنه بات عند ميمونة أم المؤمنين، وهي خالته قال: فاضطجعت في عرض الوسادة، واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله في طولها، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو

[1] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الخ.
[2] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ودعائه الخ.
[3] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب صلاة النبي صلى الله عليه وسلم الخ.

بعده بقليل، استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران [1] الحديث.

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا انتبه من النوم وقام إلى الصلاة قال: " إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب" حتى ختم السورة". [2]

وهناك أدعية كثيرة أخرى تقال في صلاة الليل رواها أصحاب السنن وغيرهم من أئمة الحديث.

فيجدر بالراغب في قيام الليل أن يقوم الليل ويقرأ الأدعية المذكورة في الحديث الشريف اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وتأسيا بأسوته الحسنة، فإن قيام الليل سنة نبوية شريفة، داوم عليها النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه من الفوئد والمصالح ما لا يخفى على قائم الليل.

70 – تصح الصلاة في ثوب واحد، وأ نه تسن المخالفة بين طرفيه على عاتقيه، عن جابر بن عبد الله قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فانتهينا إلى مشرعة فقال: ألا تشرع يا جابر، قلت بلى، قال: فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأشرعت، قال: ثم ذهب لحاجته ووضعت له وضوءا قال: فجاء فتوضأ ثم قام فصلى في ثوب واحد خالف بين طرفيه. [3] الحديث.

71 – إن ترتيب السور ليس بواجب في الصلاة ولا في الكتابة ولا في الدرس ولا في التلقين والتعليم لحديث حذيفة قال: صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت: يركع عند المائة ثم مضى فقلت: يصلي بها في ركعة فمضى فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلا، إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبّح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرّ بتعوذ تعوّذ [4] الحديث.

قال النووي: " قال القاضي عياض فيه دليل لمن يقول إن ترتيب السور اجتهاد من المسلمين حين كتبوا المصحف، وإنه لم يكن ذلك من ترتيب النبي صلى الله عليه وسلم، بل

---

[1] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب صلاة النبي صلى الله عليه وسلم الخ.
[2] رواه مسلم عن ابن عباس في صحيحه، باب صلاة النبي صلى الله عليه وسلم.
[3] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب صلاة النبي صلى الله عليه وسلم الخ.
[4] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب تطويل القراءة في الصلاة الخ.

وكله إلى أمته بعده، قال: وهذا قول مالك وجمهور العلماء، واختاره القاضي أبوبكر الباقلاني، قال ابن الباقلاني: هو أصح القولين مع احتمالهما، قال: والذي نقوله إن ترتيب السور ليس بواجب في الكتابة ولا في الصلاة ولا في الدرس ولا في التلقين والتعليم، وإنه لم يكن من النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك نص ولا حد تحرم مخالفته، ولذلك اختلف ترتيب المصاحف قبل مصحف عثمان، قال: واستجاز النبي صلى الله عليه وسلم والأمة بعده في جميع الأعصار ترك ترتيب السور في الصلاة والدرس والتلقين." [1]

ويستحب لكل قارئ في الصلاة أو غيرها إذا مر بآية فيها تسبيح سبّح،وإذا مر بسؤال سأل، وإذامر بتعوذ تعوّذ، للحديث المذكور.

ويستحب كذلك لمن يقوم الليل أن يُطوّل صلاة الليل لهذا الحديث.

72 – يحسن بالمرء المسلم أن يذكر الله تعالى إذا استيقظ من النوم [2]، ويتوضأ ويصلي وإن كانت الصلاة قليلة. فعن أبي هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال: يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ثلاث عقد إذا نام بكل عقدة يضرب عليك ليلا طويلا، فإذا استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، وإذا توضأ انحلت عنه عقدتان، فإذا صلى انحلت العقد فأصبح نشيطا طيّب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان". [3]

73 – يُسنُّ أن يصلي المرء المسلم النوافل في البيت، ولا ينبغي لأحد أن يجعل بيته خاليا من ذكر الله تعالى، لحديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبورا". [4]

وعن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا قضى أحدكم الصلاة في مسجده فليجعل لبيته نصيبا من صلاته فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرا". [5]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " فعليكم بالصلاة في بيوتكم، فإن خير صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة". [6]

---

[1] شرح صحيح مسلم 1 / 264.
[2] وقد جاءت فيه أذكار مخصوصة مشهورة في كتب الأحاديث، وقد جمعها النووي في باب من "كتاب الأذكار" فمن أراد الوقوف على ذلك فليراجع إليه.
[3] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب الحث على صلاة الليل وإن قلت.
[4] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب صلاة النافلة في بيته الخ.
[5] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب صلاة النافلة في بيته الخ.
[6] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب صلاة النافلة في بيته الخ.

قال النووي: "وإنما حث على النافلة في البيت، لكونه أخفى وأبعد من الرياء وأصون من المحبطات، وليتبرك البيت بذلك، وتنزل فيه الرحمة والملائكة، وينفر منه الشيطان".[1]

74 – يُسنّ أن تقرأ في البيت سورة البقرة لحديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة".[2]

75 – من الأدب أن يقتصد المرء في العبادة ويجتنب التعمق والتشديد، فعن عائشة أنها قالت: كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصير وكان يحجّزه من الليل، فيصلي فيه، فجعل الناس يصلون بصلاته، ويبسطه بالنهار، فثابوا ما ذات ليلة فقال: يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما يطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أخف الأعمال إلى الله ما دووم عليه وإن قل، وكان آل محمد إذا عملوا عملا أثبتوه".[3]

76 – ينبغي للإنسان أن يداوم على العمل وإن قل، وإن العمل القليل خير من كثير ينقطع، فعن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل، وكانت عائشة إذا عملت العمل لزمته".[4]

77 – يحسن بالمرء المسلم أن يُقبل على الصلاة بخشوع وفراغ قلب ونشاط، فعن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إذا نعس أحدكم في الصلاة فليرقد حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه".[5]

قال النووي: وفيه أمر الناعس بالنوم أو نحوه مما يذهب عنه النعاس، وهذا عام في صلاة الفرض والنفل في الليل والنهار، وهذا مذهبنا، ومذهب الجمهور، ولكن لا يخرج فريضة عن وقتها، قال القاضي: وحمله مالك وجماعة على نفل الليل لأنها محل النوم غالبا.[6]

***

[1] شرح صحيح مسلم: 1 / 265 .
[2] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب صلاة النافلة في بيته الخ.
[3] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب فضيلة العمل الدائم الخ.
[4] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب فضيلة العمل الدائم الخ.
[5] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب أمر من نعس في صلاته الخ.
[6] شرح صحيح مسلم 1 / 267 .

الفقه الإسلامي

التصرفات المالية للمرأة في الفقه الإسلامي

عبد الله بن عارف جاويد
المدينة المنورة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستمد منه العون ونرجوه السداد في القول، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين. وهادياً بإذنه إلى الصراط المستقيم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين......وبعد.....

قد منح الإسلام المرأة مكانة كبيرة في شتى المجلات الحياتية، واعتبرها شريكة للرجل في الحقوق والواجبات، ووصى بها توصية كبيرة فهي الأم والأخت والزوجة والابنة، ومن الحقوق التي أعطاها الإسلام للمرأة حق التصرف في المال دون رقابة أو وصاية من أحد، أي: أن للمرأة الحق في تنمية ما تحصل عليه من مال بكل وسيلة ممكنة، متاجرة أو تأجير أملاك أو غير ذلك، دون وصاية من أبيها أو أخيها أو زوجها أو ابنها.

أجاز الإسلام للمرأة البالغة الرشيدة التصرف بأموالها كما تشاء، ولا يتصرف فيه أحد إلا بإذنها، وجعل لها أيضاً حقوقاً كما للرجل في الشؤون الاقتصادية، فلها أن تتملك، وتبيع وتشتري، وتهب وتقبل الهبة، وترهن، وتعقد باسمها العقود، دون حاجة إلى إذن زوجها أو ولي أمرها.

والمهم أن تسلك المرأة والرجل السلوك الذي شرَعه الإسلام في كل الأمور بما في ذلك الأمور الاقتصادية بأن تتحرى الحلال وتبعد عن الحرام خاصة في موضوع الأموال وجلب المصالح.

وهناك إجماع عملي متتابع في الزمن منذ عصر الرسالة يتمثل في قيام النساء في كل عصر بأمور البيع والشراء والإجارة والمشاركة والهبة والوصية وسائر التصرفات المالية.

وفي هذا البحث المتواضع أحاول دراسة هذا الموضوع بشيء من التفصيل، وقد قمت بتقسيمه إلى ثلاثة فصول، وتحت كل فصل مباحث، وتحت كل مبحث مطالب.

الفصل الأول

الأهلية وما يتعلق بها من الأحكام الخاصة بالمرأة و مشروعية قيام المرأة بالبيع والشراء.

اقسم هذا الفصل إلى مبحثين .

المبحث الأول : تعريف الأهلية و أدوارها و كيفية الاختبار و وقته.

المطلب الأول : تعريف الأهلية و أدوارها.

الأهلية في اللغة:

الأهلية للأمر الصلاحية له[1] ، و الصلاحية للعمل حسن التهيؤ له[2] .

قال ابن منظور : "هو أهل لكذا أي مستوجب له ، و الواحد و الجمع في ذلك سواء"[3].

الأهلية في الاصطلاح:

الأهلية في الاصطلاح هي " عبارة عن صلاحية الشخص لوجوب الحقوق المشروعة له و عليه "[4] .

قال الإمام السرخسي: "الأهلية نوعان: أهلية الوجوب، وأهلية الأداء فأما أهلية الوجوب وإن كان يدخل في فروعها تقسيم فأصلها واحد، وهو الصلاحية لحكم الوجوب، فمن كان فيه هذه الصلاحية كان أهلا للوجوب عليه، ومن لا فلا.

وأهلية الأداء نوعان: كامل، وقاصر.

فالكامل: ما يلحق به العهدة والتبعية، والقاصر: ما لا يلحق به ذلك"[5].

وقال الإمام البزدوي: "الأهلية ضربان أهلية وجوب وأهلية أداء، أما أهلية الوجوب فينقسم فروعها وأصلها واحد وهو الصلاح للحكم، فمن كان أهلا لحكم الوجوب بوجه كان هو أهلا للوجوب ومن لا فلا، وأهلية الأداء نوعان: كامل يصلح للزوم العهدة وقاصر لا يصلح للزوم العهدة أما أهلية الوجوب فبناءه على قيام الذمة وأن الآدمي يولد وله ذمة صالحة للوجوب"[6] .

وقال الدكتور وهبة الزحيلي: "هي صلاحية الشخص لثبوت الحقوق المشروعة له ووجوبها عليه، وصحة التصرفات منه. وهي نوعان: أهلية وجوب، وأهلية أداء.

أ ـ أهلية الوجوب: هي صلاحية الشخص للإلزام والالتزام، أو هي صلاحية الشخص لثبوت الحقوق له كاستحقاق قيمة المتلف من ماله، أو وجوبها عليه كالتزامه بثمن المبيع وعوض القرض، أي أن لهذه الأهلية عنصرين:

---

[1] المعجم الوسيط ص: 32
[2] المعجم الوسيط ص:520
[3] لسان العرب مادة أهل164/1
[4] التعريفات لعلي الجرجاني ص: 104
[5] أصول السرخسي (332/2-333)
[6] كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي (393/4-394)

عنصر إيجابي: وهو صلاحية كسب الحقوق بأن يكون دائناً، وهو عنصر الإلزام أو الدائنية.

وعنصر سلبي: وهو صلاحية تحمل الواجبات أو الالتزامات بأن يكون مديناً، وهو عنصر الالتزام أو المديونية. ومناط هذه الأهلية: هو الحياة أو الصفة الإنسانية، فكل إنسان حتى الجنين في بطن أمه له أهلية وجوب، والأهلية تبدأ في الفقه مع بدء الشخصية، فهي ملازمة للشخصية، وصفة من صفات الشخصية. والشخصية تبدأ في فقهنا منذ بدء تكون ا لجنين في الرحم وتنتهي بالموت.

والعنصر السلبي للأهلية (أي المديونية) يتطلب وجود شيء آخر في الشخصية وهو الذمة: وهي وصف شرعي مقدر كوعاء اعتباري في الشخص تثبت فيه الديون والالتزامات المترتبة عليه.

وبناء عليه: يتوقف ثبوت الحق للشخص على وجود أهلية فيه. وأما ثبوت الديون عليه فيتوقف على وجود ظرف اعتباري مفترض في كل شخص هو الذمة.

وأهلية الوجوب نوعان: ناقصة وكاملة.

أهلية الوجوب الناقصة: هي صلاحية الشخص لثبوت الحقوق له فقط أي تؤهله للإلزام ليكون دائناً لا مديناً. وتثبت للجنين في بطن أمه قبل الولادة.

أهلية الوجوب الكاملة: هي صلاحية الشخص لثبوت الحقوق له، وتحمل الواجبات (أو الالتزامات). وتثبت للشخص منذ ولادته حياً، دون أن تفارقه في جميع أدوار حياته، فيصلح لاكتساب الحقوق والالتزام بالواجبات. ولا يوجد إنسان فاقد لهذه الأهلية" [1].

وعرف أهلية الأداء بقوله: "أهلية الأداء: هي صلاحية الشخص لصدور التصرفات منه (أو لممارستها ومباشرتها) على وجه يعتد به شرعاً، وهي ترادف المسؤولية، وتشمل حقوق الله من صلاة وصوم وحج وسواها، والتصرفات القولية أو الفعلية الصادرة عن الشخص. فالصلاة ونحوها التي يؤديها الإنسان تسقط عنه الواجب، والجناية على مال الغير توجب المسؤولية.

و أساس ثبوتها أو مناط هذه الأهلية هو التمييز أو العقل والإدراك، فمن ثبتت له أهلية الأداء صحت عباداته الدينية كالصلاة والصوم، وتصرفاته المدنية كالعقود.

[1] الفقه الإسلامي و أدلته 2960/4-2963

وأهلية الأداء نوعان: ناقصة وكاملة.

أهلية الأداء الناقصة: هي صلاحية الشخص لصدور بعض التصرفات منه دون البعض الآخر، وهي التي يتوقف نفاذها على رأي غيره، وهذه الأهلية تثبت للشخص في دور التمييز بعد تمام سن السابعة إلى البلوغ. ويعد في حكم المميز: الشخص المعتوه الذي لم يصل به العته إلى درجة اختلال العقل وفقده، وإنما يكون ضعيف الإدراك والتمييز.

وأهلية الأداء الكاملة: هي صلاحية الشخص لمباشرة التصرفات على وجه يعتد به شرعاً دون توقف على رأي غيره. وتثبت لمن بلغ الحلم عاقلاً أي للبالغ الرشيد، فله بموجبها ممارسة كل العقود، من غير توقف على إجازة أحد"[1].

أهلية الإنسان بحسب الأدوار

وتمر أهلية الإنسان بخمسة أدوار:

الدور الأول ــ دور الجنين:

قال محمد بن أبي الفتح البعلي: "ما استتر في بطن أمه فإن خرج حيا فهو ولد وإن خرج ميتا فهو سقط"[2].

وفي هذا الطور اثبت الفقه الإسلامي للحمل في بطن أمه أهلية وجوب ناقصة تجعله قابلا للإلزام فقط دون الا لتزام فتثبت بعض الحقوق الضرور ية له ، ولا يثبت شيء عليه .

الدور الثاني ــ دور عدم التميز:

قال الزحيلي: " ويبدأ من وقت الولادة ويستمر إلى وقت التمييز وهو بلوغ السابعة من العمر. وفيه تثبت للطفل غير المميز أهلية وجوب كاملة، فيستحق الحقوق ويلتزم بالواجبات التي تكون نتيجة ممارسة وليه بعض التصرفات نيابة عنه "[3].

الدور الثالث ــ دور التمييز:

قال ابن فرحون : "إ ن الصبي المميز هو الذي يفهم الخطاب ويرد الجواب ولا ينضبط ذلك بسن بل يختلف باختلاف الأفهام"[4] .

الدور الرابع ــ دور البلوغ

قال الزحيلي: "يبدأ من البلوغ إلى وقت الرشد. وقد اتفق الفقهاء عملاً بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية على أن البالغ يصبح مكلفاً بجميع التكاليف الشرعية. وتكتمل

---

1 الفقه الإسلامي و أدلته 2964/4-2966
2 المطلع لأبي الفتح البعلي ص:138
3 الفقه الإسلامي و أدلته 2968/4
4 مواهب الجليل للحطاب 244/4

لديه أهلية الأداء الدينية، فيطالب بالإيمان بعناصره الستة (بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره) وبالإسلام بأركانه الخمسة (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً). وبتطبيق أحكام الشريعة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، واحترام الأموال والأنفس والأعراض، واجتناب المحظورات الشرعية والمعاصي والمنكرات التي تضر بمصلحة الفرد والجماعة.

وأما أهلية الأداء المدنية فتكتمل عند الفقهاء، بسن البلوغ إذا بلغ الولد راشداً، فتنفذ تصرفاته المالية وتسلم إليه أمواله. فإن لم يؤنس منه الرشد، فلا تنفذ تصرفاته، ولا تسلم إليه أمواله؛ لأن الشرع جعل البلوغ أمارة على كمال العقل، فإن ثبت العكس عمل به"[1].

الدور الخامس ـ دور الرشد:

اختلف الفقهاء في تحديد معنى الرشد:

القول الأول: الرشد هو تثمير المال و إصلاحه فقط ، وهو قول مالك[2] والمذهب عند الحنابلة.

قال ابن قدامة: "الرشد الصلاح في المال" [3].

القول الثاني: الرشد هو الاستقامة و الاهتداء في حفظ المال وإصلاحه، وهو المذهب عند الحنفية[4] والشافعية .

قال الشافعي: " والرشد واللّه أعلم الصلاح في الدين حتى تكون الشهادة جائزة وإصلاح المال "[5].

القول الثالث: الرشد هو الدين وخلاف الغي فقط لا المعرفة بكسب المال أصلا، وهذا قول ابن حزم[6] .

المطلب الثاني: كيفية الاختبار و وقته.

وقت الاختبار:

اختلف الفقهاء في وقت الاختبار

---

[1] الفقه الإسلامي و أدلته2969/4

[2] بداية المجتهد 1447/4

[3] المغني 607/6

[4] بدائع الصنائع للكاساني 170/7

[5] الأم 451/4

[6] المحلى 286/8

فقال قوم: قبل البلوغ....

وقال الآخرون: يختبر بعد البلوغ .

قال الشيرازي من الشافعية: "واختلف أصحابنا في وقت الاختبار، فمنهم من قال: لا يختبر في التجارة إلا بعد البلوغ لأن (قبل البلوغ) لا يصح تصرفه فلا يصح اختباره .

ومنهم من قال يختبر قبل البلوغ لقوله تعالى { وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح } فأمر باختبار اليتامى وهم الصغار فعلى هذا كيف يختبر؟ فيه وجهان: أحدهما إنه يسلم إليه المال فإذا ساوم وقرر الثمن عقد الولي لان عقد الصبي لا يصح .

والثاني أنه يتركه حتى يعقد لأن هذا موضع ضرورة"[1].

وقال ابن قدامة: " وقت الاختبار قبل البلوغ في إحدى الروايتين وهو أحد الوجهين لأصحاب الشافعي لأن الله تعالى قال: {وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم} فظاهر الآية أن ابتلاءهم قبل البلوغ لوجهين، أحدهما: أنه سماهم يتامى، وإنما يكونون يتامى قبل البلوغ، والثاني: أنه مد اختيارهم إلى البلوغ بلفظة "حتى" فدل على أن الاختيار قبله، ولأن تأخير الاختبار إلى البلوغ مؤد إلى الحجر على البائع الرشيد، لأن الحجر يمتد إلى أن يختبره ويعلم رشده، واختباره قبل البلوغ يمنع ذلك، فكان أولى، لكن لا يختبر إلا المراهق المميز الذي يعرف البيع والشراء والمصلحة من المفسدة، ومتى أذن له وليه فتصرف صح تصرفه على ما ذكرنا فيما مضى، وقد أومأ أحمد في موضع إلى اختباره بعد البلوغ، لأن تصرفه قبل ذلك تصرف ممن لم يوجد فيهم مظنه العقل"[2] .

وقال ابن مفلح المقدسي: "زمن الاختبار قبل البلوغ، وقيل: لا، للجارية، لنقص خبرتها بالخفر، وعنه[3]: بعده فيهما" [4].

أشار ابن مفلح هنا إلى اختلاف الفقهاء الحنابلة في الزمن الذي يتم فيه اختبار الذكر والأنثى، فهناك من رأى أنه قبل البلوغ لهما معا وهناك من استثنى الأنثى لنقص خبرتها

---

[1] المهذب 331/1
[2] المغني 608/6
[3] أي الإمام أحمد
[4] الفروع 9/7

وبسبب الخجل بحيث لا يتم اختبارها إلا بعد البلوغ ونقل عن الإمام أحمد أن وقت الاختبار لهما معا بعد البلوغ .

وعند المالكية لا تختبر المرأة إلا بعد الزواج .

قال ابن رشد: " قال مالك هي في ولاية أبيها في المشهور عنه حتى تتزوج ويدخل بها زوجها ويؤنس رشدها. وروي عنه مثل قول الجمهور ولأصحاب مالك في هذا أقوال غير هذه، قيل إنها في ولاية أبيها حتى يمر بها سنة بعد دخول زوجها بها، وقيل حتى يمر بها عامان، وقيل حتى تمر بها سبعة أعوام.

وحجة مالك أن إيناس الرشد لا يتصور من المرأة إلا بعد اختبار الرجال"[1].

كيفية الاختبار:

اتفق أكثر الفقهاء على أ ن كل إنسان يختبر حسب جنسه و مهنة والده .

قال الإمام الشافعي: "والاختبار يختلف بقدر حال المختبر، فإن كان من الرجال من يتبذل فيختلط الناس استدل بمخالطته الناس في الشراء والبيع قبل البلوغ وبعده حتى يعرف أنه يحب توفير ماله والزيادة فيه، وأن لا يتلفه فيما لا يعود عليه نفعه، كان اختبار هذا قريبا، وإن كان ممن يصان عن الأ سواق كان اختباره أبعد قليلا من اختبار الذي قبله، ويدفع إلى المولى عليه نفقة شهر فإن أحسن إنفاقها على نفسه وأحسن شراء ما يحتاج إليه منها مع النفقة اختبر بشيء يسير يدفع إليه، فإذا أونس منه توفير له وعقل يعرف به حسن النظر لنفسه في إبقاء ماله دفع إليه ماله.

واختبار المرأة مع علم صلاحها بقلة مخالطتها في البيع والشراء أبعد من هذا قليلا فيختبرها النساء وذوو المحارم بها بمثل ما وصفنا من دفع النفقة وما يشترى لها من الأدم وغيره، فإذا آنسوا منها صلاحا...... دفع إليها اليسير منه فإن هي أصلحته دفع إليها مالها نكحت أو لم تنكح، لا يزيد في رشدها ولا ينقص منه النكاح ولا تركه، كما لا يزيد في رشد الغلام ولا ينقص منه، وأيهما نكح وهو غير رشيد وولد له ولى عليه ماله، لأن شرط الله عز وجل أن يدفع إليه إذا جمع الرشد مع البلوغ وليس النكاح بواحد منهما، وأيهما صار إلى ولاية ماله فله أن يفعل في ماله ما يفعل غيره من أهل الأموال وسواء في ذلك المرأة والرجل وذات زوج كانت أو غير ذات زوج، وليس الزوج من ولاية مال المرأة بسبيل "[2].

---

[1] بداية المجتهد 1446/4

[2] الأم 451/4-452

وقال ابن قدامة: "اختباره بتفويض التصرفات التي يتصرف فيها أمثاله فإن كان من أولاد التجار فوض إليه البيع والشراء، فإذا تكررت منه فلم يغبن ولم يضيع ما في يده فهو رشيد، وإن كان من أولاد الدهاقين والكبراء الذين يصان أمثالهم عن الأسواق، دفعت إليه نفقة مدة لينفقها في مصالحه فإن كان قيما بذلك يصرفها في مواقعها ويستوفي على وكيله ويستقصي عليه فهو رشيد، والمرأة يفوض إليها ربة البيت من استئجار الغزالات وتوكيلها في شراء وأشباه ذلك فإن وجدت ضابطة لما في يديها مستوفية من وكيلها فهي رشيدة"[1].

وقال في الكافي في فقه ابن حنبل: "إنما يعرف رشده باختياره لقول الله تعالى: {وابتلوا اليتامى} يعني: اختبروهم واختبارهم: تفويض التصرفات التي يتصرف فيها أمثالهم إليهم من تجارة أو نيابة ويفوض إلى المرأة ما يفوض إلى ربة البيت من استئجار الغزالات وتوكيلها في شراء الكتان والاستيفاء عليهن "[2].

قال د. ثرية اقصري: " وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ" لا دلالة فيه على أن الإناث يختبرن في الأمور المنزلية والغزل والنسج فقط، وان الذكور يختبرون حسب مهنة آبائهم. و إنما هي أحكام استنبطها الفقهاء من هذه الآية مستأنسين بما جرى به العمل في بيئتهم لتقريب المعنى إلى الأذهان. وأن الآية لم تفرق بين ذكر و أنثى، ولا بين ذكر وذكر في كيفية الاختبار.[3]

المبحث الثاني: أهلية المرأة عند الفقهاء

المطلب الأول: أهلية المرأة عند الجمهور

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن المرأة إذا بلغت رشيدة وجب دفع مالها إليها، منهم الحنفية والشافعية والحنابلة وأهل الظاهر.

قال الطحاوي الحنفي: " المرأة إذا أونس منها الرشد دفع إليها مالها تزوجت أو لم تتزوج، كالغلام نكح أو لم ينكح، لأن الله تعالى سوى بينهما ولم يذكر تزويجا"[4].

وقال: "قال أصحابنا: إذا اجتمع للمرأة عقلها وبلغت جاز تصرفها في مالها، بكرا كانت أو ثيبا، وهو قول الشافعي"[5].

[1] المغني 608/6
[2] الكافي 259/3
[3] التصرفات المالية للمرأة ، ص:38
[4] مختصر اختلاف العلماء (217/5)
[5] مختصر اختلاف العلماء (341/2)

وقال الشافعي: " الحال التي يبلغ فيها الرّجل والمرأة رشدهما حتى يكونا يليان أموالهما، قال اللّه عز وجل {وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حتى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ منهم رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا}[1] فدلت هذه الآية على أن الحجر ثابت على اليتامى حتى يجمعوا خصلتين البلوغ والرشد، فالبلوغ استكمال خمس عشرة سنة، الذكر والأنثى في ذلك سواء، إلا أن يحتلم الرجل أو تحيض المرأة قبل خمس عشرة سنة، فيكون ذلك البلوغ، ودل قول اللَّه عز وجل {فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ} على أنهم إذا جمعوا البلوغ والرشد لم يكن لأحد أن يلِي عليهم أموالهم، وكانوا أولى بولاية أموالهم من غيرهم، وجاز لهم في أموالهم ما يجوز لمن خرج من الولاية ممن ولي فخرج منها أو لم يول وأن الذكر والأنثى فيهما سواء "[2].

فإذا دفع للمرأة المال جازت تصرفاتها فيه بكل أنواعها لا فرق في ذلك بين المرأة والرجل عند معظم الفقهاء .

قال الشافعي: "إذا دفع إلى المرأة مالها والرجل فسواء كانت المرأة بكرا أو متزوجة عند زوج أو ثيبا، كما يكون الرجل سواء في حالاته، وهي تملك من مالها ما يملك من ماله ويجوز لها في مالها ما يجوز له في ذلك عند زوج كانت أو غير زوج، لا فرق في ذلك بينها وبينه في شيء مما يجوز لكل واحد منهما في ماله، فكذلك حكم اللّه عز وجل فيها وفيه، ودلالة السنة، وإذا نكحت فصداقها مال من مالها، تصنع به ما شاءت كما تصنع بما سواه من مالها"[3].

وقال ابن قدامة في الشرح الكبير في مسئلة (هل للزوج أن يحجر على امرأته في التبرع بما زاد على الثلث من مالها):

"ولنا قول الله تعالى (فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم) وهو ظاهر في فك الحجر عنهم وإطلاقهم في التصرف، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "يا معشر النساء تصدقن ولو من حليكن" وأنهن تصدقن فقبل صدقتهن ولم يسأل ولا استفصل، أتته زينب امرأة عبد الله وامرأة أخرى اسمها زينب، فسألته عن الصدقة: هل يجزئهن أن يتصدقن على أزواجهن وأيتام لهن، فقال " نعم " ولم يذكر لهن هذا الشرط، ولأن من وجب

---

[1] النساء : 6
[2] الأم 451/4
[3] الأم 460/4

دفع ماله إليه لرشده جاز له التصرف فيه من غير إذن كالغلام، ولأن المرأة من أهل التصرف ولا حق لزوجها في مالها فلم يملك الحجر عليها في التصرف بجميعه"[1].

فرجح ابن قدامة أن المرأة لها حق التصرف في مالها و ليس لأحد الحجر عليها.

وقال ابن حزم: "لا يجوز الحجر أيضا على امرأة ذات زوج ؛ ، ولا بكر ذات أب، ولا غير ذات أب، وصدقتهما، وهبتهما: نافذ كل ذلك من رأس المال إذا حاضت كالرجل سواء سواء.

وهو قول سفيان الثوري، وأبي حنيفة، والشافعي، وأبي ثور وأبي سليمان، وأصحابهم"[2].

دليل الجمهور:

" وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ".

فالمراد بالابتلاء هنا الاختبار بصفة عامة مع بعض الشروح والتفصيلات جعلت الابتلاء يشمل الاختبار في الدين والمال والعقل والمعرفة بالتصرف في جميع الأحوال.

وفيما يلي بعض أقوال المفسرين رحمهم الله .

قال الطبري في تفصيل الآية: "{وابتلوا اليتامى} واختبروا عقول يتاماكم في أفهامهم، وصلاحهم في أديانهم، وإصلاحهم أموالهم"[3].

وقال النسفي: "{ وابتلوا اليتامى } واختبروا عقولهم وذوقوا أحوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ، فالابتلاء عندنا أن يدفع إليه ما يتصرف فيه حتى تتبين حاله فيما يجيء منه"[4].

وقال السيوطي: "أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه عن ابن عباس {وابتلوا اليتامى} يعني اختبروا اليتامى عند الحلم {فإن آنستم} عرفتم {منهم رشدا} في حالهم والإصلاح في أموالهم {فادفعوا إليهم أموالهم}.

أخرج ابن جرير عن السدي {وابتلوا اليتامى} قال: جربوا عقولهم"[5].

---

[1] الشرح الكبير 410/13
[2] المحلى 309/8
[3] تفسير الطبري 402/6
[4] تفسير النسفي 204/1-205
[5] الدر المنثور 233/4

يلاحظ أ ن تفسير هؤلاء العلماء هنا جاء عاما وشاملا للذكر والأنثى.

المطلب الثاني: أهلية المرأة عند المالكية

اختلف فقهاء المالكية في أهلية المرأة .

فمذهب المالكية أن البكر غير المتزوجة ذات الأب أو الوصي ليس لها التصرف في مالها .

وأن الأيم الرشيدة التي فارقت زوجها بطلاق بائن أو موت، جميع تصرفاتها صحيحة و جائزة.

وأن البالغة الر شيدة المتزوجة تصح تصرفاتها المالية التي تكون في مقابل عوض كالبيع والشراء ولو كره الزوج ذلك وكذلك تبرعاتها المالية إذا كانت في حدود الثلث فأقل و بعد مرور مدة معينة على الزواج.

ورد في المدونة: " قلت: فهل يجوز بيع المرأة ذات الزوج وشراؤها، قال: قال مالك: يجوز شراؤها وبيعها في مالها كله وان كره ذلك زوجها، قلت: فإن حابت في بيعها، قال: تجوز محاباتها في بيعها فيما بينها وبين ثلثها عند مالك"[1].

وقال: " وكل ما فعلته المرأة ذات الزوج من معروف في مالها أو وهبت أو تصدقت أو أعتقت أو تكفلت فكان ذلك أكثر من الثلث لم يجز منه قليل ولا كثير في قول مالك".

وقال الدردير: " وحجر على الزوجة الحرة الرشيدة بدليل ما قدمه من حجر السيد على رقيقه والولي على السفيه لزوجها البالغ الرشيد أو ولي السفيه ولو كان الزوج عبدا لأ ن الغرض من مالها التجمل به والزوج ولو عبدا له حق في التجمل من مالها دون سيده في تبرع زاد على ثلثها ولو بعتق حلفت به وحنثت فله رده ولا يعتق منه شيء"[2].

وقال: "فمضي جميع ما تبرعت به إن لم يعلم الزوج بتبرعها حتى تأيمت بطلاق وأولى إن علم وسكت أو مات أحدهما"[3].

وقال ابن رشد: " اختلفوا في الإناث فذهب الجمهور إلى أن حكمهن في ذلك حكم الذكور، أعني بلوغ المحيض وإيناس الرشد، وقال مالك هي في ولاية أبيها في المشهور عنه حتى تتزوج ويدخل بها زوجها ويؤنس رشدها.

---

[1] المدونة الكبرى 122/4

[2] الشرح الكبير للدردير 307/3 – 308

[3] الشرح الكبير للدردير 308/3

وروي عنه مثل قول الجمهور، ولأصحاب مالك في هذا أقوال غير هذه قيل إنها في ولاية أبيها حتى يمر بها سنة بعد دخول زوجها بها، وقيل حتى يمر بها عامان وقيل حتى تمر بها سبعة أعوام.وحجة مالك أن إيناس الرشد لا يتصور من المرأة إلا بعد اختبار الرجال"[1].

وأما اليتيمة المهملة ففيه قولان.

الأول: أفعالها تجوز بعد الحيض.

الثاني: لا تجوز أفعالها إلا بعد التعنيس.

قال ابن رشد: "فأما اليتيمة التي لا أب لها ولا وصي فإن فيها في المذهب قولين، أحدهما أن أفعالها جائزة إذا بلغت المحيض، والثاني أن أفعالها مردودة ما لم تعنس وهو المشهور"[2].

أما البكر العانس فاختلفوا فيه: فهناك من ذهب إلى أن البكر العانس تخرج من الحجر بالتعنيس و ذهب الآخرون أنها لا تخرج من الحجر بالتعنيس.

قال ابن أبي زيد القيرواني: "قال اصبغ عن ابن وهب في البكر تبلغ أربعين سنة ، ولا يليها أحد: إن أفعالها في مالها تجوز. و روى مثله أشهب عن مالك. وقال محمد: وذلك التي لا أب لها ولا وصي ولا ولي من سلطان. وقال ابن قاسم: إن بلغت الخمسين وقال أصبغ: الأربعين. وقال الله سبحانه: حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً .

ولا يجوز من فعل البكر في مالها إلا في الشيء اليسير، و لها إذا ملكت أمرها أن ترد صنيعتها، إلا أن تقوم على تسليمها"[3].

لكن ذكر ابن عبد البر أن تحصيل مذهب مالك عدم خروجها من الحجر ولو عنست حيث قال:" البكر وإن عنست بمنزلة المحجور حتى يبنى بها زوجها ويعلم صلاح حالها هذا تحصيل مذهب مالك ومن أصحابه من يخالف في ذلك "[4].

وبذلك يتبين أن المرأة المتزوجة عند المالكية وإن خرجت من الحجر يبقى لزوجها الحق في الحجر عليها إذا حابت في معاملاتها العوضية بالزائد عن الثلث.

(يتبع)

***

---

[1] بداية المجتهد 1446/4

[2] بداية المجتهد 1447/4

[3] النوادر و الزيادات 213/12

[4] الكافي في فقه أهل المدينة ص:423

مكتبة الحرم

من أهم المكتبات في العالم الإسلامي

مكتبة الحرم المكي

تعد مكتبة الحرم المكي الشريف من أهم المكتبات في العالم الإسلامي وأعرقها فهي تقع في أقدس بقعة وأشرف مكان، مهبط الوحي ومهوى أفئدة المسلمين، ويعود تاريخ إنشائها وفق ما أوردته المصادر التاريخية إلى القرن الثاني الهجري في عهد الخليفة العباسي محمد المهدي حوالي عام (161هـ).

ومنذ بداية العهد السعودي الزاهر اهتم الملك عبد العزيز – طيب الله ثراه – بهذه المكتبة، وكون لجنة من العلماء لدراسة أحوالها، وأطلق عليها عام 1357 هـ مكتبة الحرم المكي الشريف، وأهدى إليها – يرحمه الله – مجموعة من الكتب، وقد حظيت برعاية وعناية الدولة، منذ ذلك الوقت استمر تزويدها بما يستجد من الكتب والمراجع والأجهزة الحديثة التي تيسر على زوارها استخدام أوعيتها المتنوعة.

وأوضح مدير مكتبة الحرم المكي الشريف الدكتور محمد بن عبد الله باجوده أن المكتبة تضم (12) قسما تقدم خدماتها للمطالعين وطلبة العلم، ومن أهم تلك الأقسام قسم المخطوطات، يحتوي على (4909) مخطوطا أصليا، و (372) مخطوطا غير عربي، و (2520) مخطوطا مصورا ورقيا، وأكثر من (20000) مخطوط مصور الكترونيا، وكذلك مجموعة من الرسائل العلمية وفهارس ومخطوطات للمكتبات العربية والعالمية.

كما يهتم قسم الدوريات بالصحف والمجلات المحلية والعربية الحديثة والقديمة، ويبلغ تعداد عناوينها إلى قرابة (1000) عنوان، ويرتبط بهذا القسم قسم تعقيم وترميم المخطوطات والكتب القديمة، وقسم التجليد الذي يتولى تجليد كتب المكتبة، وقسم المكتبة الصوتية، فيقوم بجمع الدروس والخطب من المسجد الحرام، ومن ثم تسجيل ما يحتاجه الزوار والمطالعون في الدروس والخطب التي تلقى في المسجد الحرام، ويبلغ عدد الأشرطة أكثر من (100000) شريط، وقد تم تحويل قسم كبير منها إلى أقراص، وهي من الأقسام التي يزداد عليها الإقبال من قبل المطالعين والزوار، وقد تم إحداث تطور كبير بالقسم، وذلك من خلال أنظمة صوتية حديثة وأجهزة عالية الدقة، وقد تم تحويل جزء كبير من الأشرطة الصوتية إلى أ سطوانات ليسهل تسجيلها ونسخها وتقديمها لمن يرغب فيها من

طلبة العلم والمهتمين، وقريبا سوف يتم تنزيل المكتبة الصوتية على بوابة الرئاسة على الإنترنت، وأنشأت المكتبة قسم التصوير الميكروفيلمي لتمكين الزوار والمطالعين من مشاهدة الأفلام الخاصة بالمخطوطات والصحف القديمة على أجهزة القراءة، ويضم القسم أكثر من (5671) فلما، كما يضم قسم الخدمة المكتبية أكثر من (100000) عنوان في جميع المجالات، ومن الأقسام الأخرى التي في المكتبة جناح الحرمين الشريفين، يعرض في هذا الجناح كل ما له علاقة بالحرمين الشريفين من صور قديمة وحديثة أو خرائط أو كتب أو مخطوطات للمطالعين والزوار، ويتولى قسم التزويد مسؤولية ومهام بناء وتنمية المجموعات وفقا للسياسة التي وضعتها الإدارة بالتنسيق مع المسؤولين بالرئاسة، وقسم الإهداء والتبادل الذي يهدف إلى إثراء مقتنيات المكتبة من خلال التبادل، وتمكين رواد المكتبة من الاستفادة من النسخ المكررة التي أعدت للتبادل، ويتم التبادل مع الأشخاص أو المؤسسات العلمية، وقسم الفهرسة والتصنيف الذي يناط به القيام بعمليات التحليل والوصف الببليوجرافي للكتب على شكل بطاقات ووضعها في الأدراج بعد ترتيبها أبجديا، وقد تم إدخال جميع البطاقات على الحاسب الآلي. وانطلاقا من اهتمام المكتبة بمواكبة المستجدات الحديثة، وفرت المكتبة بعض المراجع المخزنة على سي دي، تيسيرا وتسهيلا للباحثين للوصول إلى ما يريدون، وتحتوي المكتبة عددا من النوادر، وذلك على النحو الآتي:-

من المخطوطات النادرة الغيلانيات: لمحمد بن ممحمد بن إبراهيم بن غيلان البزار، وهو أقدم مخطوط في المكتبة، ويعود تاريخ نسخه إلى أوائل القرن الخامس الهجري، وهو أحد عشر جزءا في مجلد واحد.

الفروسية والمناصب الحربية: لنجم الدين حسين بن الرماح المتوفى عام (780هـ).

مسند الموطأ: للغافقي المتوفى عام (381هـ) ويعود تاريخ نسخه إلى عام (693هـ).

مجمع البحرين في زوائد المعجمين: لابن حجر الهيتمي المتوفى عام (807هـ).

كما تقتني المكتبة مجموعة من المطبوعات الحجرية النادرة أهمها: ديوان ابن النبيه عام (1280 هـ)، كتاب قصيدة كاظم الرشتي، طبع عام (1269 هـ)، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس لمحمد الديار بكري طبع عام (1283 هـ)، الباكورة العربية في شرح

متن الآجرومية لمحمد بن إسماعيل الأنصاري طبع عام (1288 هـ) ، الأنيس المفيد للطالب المستفيد طبع عام (1296 هـ) وكثير غيرها.

ومن الدوريات السعودية النادرة: بريد الحجاز من السنة الأولى، العدد الأول عام (1343 هـ) (فيلما فيلما) ، الإذاعة من السنة الأولى، العدد الأول، عام (1375 هـ).

أما الصحف العربية فأهمها: المقتطف من السنة الأولى عام (1870م). الضياء من السنة الأولى عام (1898م). المنار من السنة الأولى عام (1315 هـ). المقتبس من السنة الأولى عام (1324 هـ). نوادر الإسلام من السنة الأولى عام (1349 هـ).

ويتم تزويد المكتبة بأحدث الإصدارات من خلال المشاركة المستمرة في معارض الكتب المحلية والدولية، بالإضافة إلى أن المكتبة تطبق الإهداء والتبادل وفق شروط وضوابط محددة، ولا تسمح أنظمة المكتبة بإعارة الكتب، بالإضافة إلى أن معظم مقتنياتها وقفية من كتب ومخطوطات ودوريات، ولكن تقدم خدمة التصوير الفوري وفق ضوابط محددة للكتب والتصوير الميكروفيلمي للمخطوطات، وكذلك النسخ الورقية للمخطوطات ونسخ الأشرطة الصوتية. ومن الأقسام المهمة الأخرى التي لها علاقة مباشرة بالزوار والمطالعين قسم النساء الذي يقوم بخدمة المطالعات الزائراتع على فترتين صباحية ومسائية. وقسم خاص بالأطفال داخل قسم النساء به بعض الألعاب التي تنمي فيهم التطوير الذاتي والتعليم،ويعمل بالقسم (16) موظفة وعاملة على مدار الفترتين الصباحية والمسائية. ولم تتوان المكتبة مع ما حباها الله من أوعية للمعلومات أن تتعاون مع العديد من المكتبات ومراكز المعلومات داخل المملكة وخارجها، وخلال شهر رمضان المبارك يتم دعم الأقسام التي لها علاقة مباشرة مع المطالعين، وتهيئة المعلومات المتعلقة بمكة المكرمة والحرمين الشريفين، وعرضها للمطالعين مساعدة الزوار والمطالعين في الحصول على المعلومات بأيسر الطرق. والجديد في خدمات المكتبة أن معظم مقتنيات المكتبة أصبحت تقدم عن طريق الحاسب الآلي وافتتاح المكتبة الإلكترونية وكذلك تصوير المخطوطات على القرص المدبج.

(العالم الإسلامي، مكة المكرمة: 2 / رمضان 1431 هـ)

* * *

من أخبار الجامعة السلفية

* الشيخ مظهر أحسن والدكتور عبد العلي في زيارة للجامعة:

تفضل كل من فضيلة الشيخ مظهر أحسن الأزهري نائب رئيس الجامعة السلفية، وفضيلة الدكتور عبد العلي الأزهري، عميد الكلية الإسلامية في لندن بزيارة للجامعة في يوم الثلاثاء 30 / 12 / 1431 هـ= 7 / 12 / 2010 م وعقدوا لقاءات مع كل من فضيلة رئيس الجامعة الدكتور جاويد أعظم عبد العظيم، وفضيلة نائب رئيس الجامعة الأول الشيخ شاهد جنيد محمد فاروق، وفضيلة الأمين العام للجامعة الشيخ عبد الله سعود بن عبد الوحيد، إلى جانب لقاءاتهم مع مدرسي الجامعة، وناقشوا عددا من القضايا المتعلقة بالتعليم والتربية والدعوة والإرشاد والصحافة.

وعلى طلب من مسؤولي الجامعة تفضل الدكتور عبد العلي الأزهري بإلقاء كلمة في مسجد الجامعة بعد صلاة العشاء، حث فيها الطلاب على القيام بواجباتهم نحو العلم والدين، والجد والاجتهاد في التحصيل، وعلى البحث والتفكير والاستنتاج، وعلى الحوار والمناقشة، وتهيئة أنفسهم للدعوة وللدفاع عن الدين والقرآن والسنة. وأشار عليهم بتعلم اللغة الانجليزية لخدمة الدعوة والدفاع عن الدين في هذه اللغة العالمية. كما رغبهم في اغتنام فرصة تواجدهم في الجامعة للاستفادة من مكتبتها التي تعتبر مكتبة غنية بكتبها ومحتوياتها، وأشار عليهم بتسجيل النقاط المهمة عند مطالعة الكتب، وحثهم على التخلق بالأخلاق والاهتمام بتلاوة القرآن الكريم والتدبر في معانيه ومقاصده.

* الشيخ أرشد مختار زائرا للجامعة:

قام سعادة الشيخ أرشد مختار ابن الشيخ مختار أحمد الندوي رحمه الله، رئيس الجمعية المحمدية الخيرية والتعليمية في ممبائي بزيارة الجامعة في 17 / 12 / 1431 هـ = 24 / 11 / 2010 م، عقد خلالها اجتماعات مع كل من فضيلة الدكتور جاويد أعظم عبد العظيم، رئيس الجامعة، وفضيلة الشيخ عبد الله سعود بن عبد الوحيد، الأمين العام للجامعة، وفضيلة الشيخ نعيم الدين المدني، شيخ الجامعة، وفضيلة الشيخ أسعد أعظمي، رئيس تحرير مجلة صوت الأمة، وغيرهم من مسؤولي الجامعة وأساتذتها.

وقد تفضل الشيخ بإلقاء كلمة في مسجد الجامعة بعد صلاة العصر حث فيها طلاب الجامعة على الجد والاجتهاد في تحصيل العلم، واغتنام الوقت، ومتابعة الدروس، ومراجعة المكتبة، وكسب المعالي، والترفع عن سفاسف الأمور.

* اختبارات نصف السنة في الجامعة السلفية:

أعلنت لجنة الاختبارات بالجامعة السلفية أن اختبارات نصف السنة تبدأ — بمشيئة الله تعالى — في 11 / 1 / 1432 هـ = 18 / 12 / 2010 م وتنتهي في 23 / 1 / 1432 هـ = 30 / 12 / 2010 م. وتتوقف الدراسة النظامية للمراجعة والاستعداد للاختبار بدءا من يوم الثلاثاء: 7 / 1 / 1432 هـ = 14 / 12 / 2010 م. ***

ركن الطلاب

جهاز العروس

عبد الرحمن لطف الحق
السنة الثانية للفضيلة
الجامعة السلفية، بنارس

إن جاهليتنا قد أتت مثلما أتت الجاهلية الأولى من الجرائم والفواحش والمنكرات والرذائل، بل أربت على ما أتت وزادت، إن الجاهلية الأولى كانت تئد البنات وهي صبية، و لكن جاهليتنا الأخرى بعد قتلها وهي جنين أرسلت من العقارب والحيات والثعابين ما لا تزال تلدغ كل بنات حواء، فتتأذى بلدغها وتموت بلسعها، وذهبت تلتمس راحتها في الموت وسكونها في الانتحار، فتقتل جاهليتنا البنات وهي جنين، وتقتلها وهي بالغة في سن زواجها.

إن الناس في الجاهلية الأولى كانت تظل وجوههم مسودة وتغشى محياهم قترة، إذا بشر أحدهم بالأنثى خوفا للعار، وفرارا من الفضيحة، وخلاصا من الخذلان، ولكن الناس في جاهليتنا الأخرى تغشى وجوههم السحابة السوداء من الحزن والكمد، إذا بشروا بالبنات، لا خوفا للعار ولا فرارا من الفضيحة، بل خشية أن بنته تدفعه في التراب، وتلصقه بالرغام، وتسبب له الفقر والبؤس، خشية أنها تذهب بجميع ما تملكه يده من الثروات والأموال والخزائن، خشية أنها لا تذره حتى تتركه عائلا يتكفف الناس، فيعمد آباء البنات إلى إجهاض الجنين إن علموا أنها أنثى قبل أن تقتل بنا ته أنفسهن بأيديهن.

والأبكار اللائي تؤويهن بيوت عائلة،وتربيهن أحضان معسرة، وتعولهن أسر فقيرة،وتنشئهن مهود معوزة، يؤثرن أن يشربن سما أو يتوجأن بحديدة في بطونهن، أو يتردين من جبل، فيقتلن أنفسهن، على الدموع التي تنهمر من عيون آباءهن وتنحدر على خدودهم لعجزهم عن تزويج بناتهم لغلاء جهازالعروس، وعلى أن يرين وجوه آباءهن تتلبد بغيوم الحزن والغم لأجلهن، ويقلن في أنفسهن لا نؤثر الموت على بؤس آباءنا وذلهم؟

هناك جهود جبارة قد بذلت لمنع هذه التقاليد الملعونة، وغرست أشجار باسقة حتى ينجو المجتمع من هذه التقاليد المبيدة، ويتفيأ بوارف ظل هذه الأشجار الباسقات، ولكن

ضوت أغصانها وذوت أوراقها، وذبلت أزهارها وأثمرت، ولكن حنظلت ثمارها، وأتى المجتمع الجاشع على أصلها وبنيانها.

والحقيقة أنه ليس هناك سلاح لمنع هذه التقاليد إلا سلاح واحد، وهو الإيثار والتضحية.

يا رجال المجتمع ! إذا كانت نساؤكم يستطعن أن يتجرعن كل كأس يؤدي إلى القضاء على أنفسهن لئلا يرين العبرات التي تفيض من عيون آباءهن، ولئلا يرين الفقر الذي يدفع آباءهم إلى الكفر، والبؤس الذي يجرهم إلى الذل، فكيف وأنتم رجال، عقولكم أنضج من عقولهن، ورأيكم أسد من رأيهن، تقدر عيونكم على رؤية الدموع الجارية على وجوه إخوانكم، وتستمع آذانكم إلى أخبار الانتحار الذي تختاره أخواتكم لأجل قسوتكم وظلمكم.

يا رجال المجتمع هل تفكرتم كم جنت أياديكم الآثمة على نفوس بريئة، وكم بائسات عائلات ثيبات أبكارا، دفعتموهن إلى الموت دفعا، فوالله ما ألقيت نظري في جريدة من الجرائد في يوم من الأيام إلا وجدت خبر شابة تقتل نفسها لأن أباها يعجز عن أداء ما يطلبه آباء الأبناء عند الزواج من جهاز العروس، فلا تنكح مع ذهاب سن زواجها، وأبا يقتل نفسه، لأنه يعجز عن منح ما يفرضه آباء الأبناء من جهاز العروس، وزوجا يقتل زوجته لأن أباها حتى الآن لم يؤد إليه جهاز العروس.

وأذكر حادثة مؤلمة نشر خبرها (مولانا أبو الكلام آزاد) في مجلته الشهيرة "الهلال" ، ذكر فيها قصة امرأة بنغالية تنتمي إلى أسرة فقيرة معدمة، قد أنهك أباها الحزن المتواصل، والتفكير المستمر في أمر تزوجيها، لأنه كان يعجز عن تقديم ما يفرضه آباء الأبناء من جهاز العروس لقلة المال وضيق اليد وكثرة الطلب، وكان يحمل في سبيل ذلك من الهم ما يطيل سهره ويقلق مضجعه، ويحول بينه وبين قر اره، فقامت هذه البنت وأحرقت ج سمها بالنار، وخطت هذه البائسة المسكينة بيمينها قبل أن تحرق جسمها، رسالة لينفد المجتمع الجائر ماء الشؤون عند كل كلمة سطرتها يد هذه المطلوبة البائسة المسكينة، فكتبت " يا أبي الرحيم إني قد وجدت منك أنك توفر لي كل لذة من لذائذ العيش، وتختار أنت لنفسك الفقر المد قع والغرم المفظع، ألست أنت الذي ربيتني في حضن

الحب والمودة، وفي مهد العز والسرا وة، ونزلت عند كل رغبة من رغباتي، ثم كيف تنتهي بتضحية نفسك في سبيلي، فالأولى لي أن أضحي بنفسي بتحريق جسدي". (مجلة الهلال: 11/ مارس 1914 م)

فيا أبناء هذاالمجتمع ! لم تسمعون عويل ا لبكاء وصريخ النياحة من بيت كان المفروض تسمعوا منه صوت الدف والأغاني في يوم العرس والزواج؟ ولم ترون الثياب البيض تلفّ في جسم المسكينة مكان أن تروا الجوهر الساطع والذهب اللامع والحلل المدبجة في بدنها الناعم؟ ولم ترون الجموع الحاشدة تصلى عليها بدل أن تروا هذه الجموع يهنئ بعضهم بعضا و يبشر قرين قرينا ببشارة عرسها؟ ولم ترون الوجوه مقطبة والعيون باكية والقلوب حزينة بدل أن تروا الوجوه مشرقة والثغور باسمة والقلوب بهيجة؟

من حول عرسها إلى جنازة وعيدهم إلى نياحة وضحكم إلى بكاء وفرحهم إلى حزن؟ فمن يحمل أثقالها وأوزارها؟ وإلى من يرجع هذا الذنب ؟

من هم إلا أنتم، لأن هذا ما قدمته أيديكم الآثمة، وكسبته قلوبكم الجشعة.

فيا من يسرف على نفسه ويا من يمتص دم غيره، ويا من يجلب غضب ربه، كيف تقوم أمام رب العالمين يوم الحساب بهذا الجبين المسود من الإثم، وبهذا الوجه المحمر من الخجل، وكيف بك إذا جاءت المظلومة المقتولة تشكو ربها ظلمك؟ وكيف بك إذا جاء ربك بزوجتك المقتولة بيدك تسأل ربها عن ذنب قتلها، فما ظنكم برب العالمين؟

يا رب إذا أصبح دم الإنسان أهدر من الدنانير وأحقر من الدراهم وأرخص من الأموال، وإذا بلغ قسوة الرجل إلى قتل زوجته التي تشاطره في همه وغمه، وأنيسته التي تطيعه إذا أمر وتسره إذا نظر، وحبيبته التي يسكن إليها، ويفضي سر قلبه إلى قلبها، لتافه من الدنيا، فاقض بيننا إنما أنت قاض.

* * *

وفيات

رحيل الشيخ محمد بن جميل زينو يرحمه الله

وليد دويدار

روى الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما، اتخذ الناس رؤوساجهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا". وفي الحديث المتفق عليه أيضا عن أبي وائل قال: كنت جالسا مع عبد الله وأبي موسى فقالا: قال رسول الله ﷺ: "إن بين يدي الساعة أياما يرفع فيها العلم وينزل فيها الجهل ويكثر فيها الهرج، والهرج: القتل".

ومن هذين الحديثين نعلم علم اليقين أن من أشد المصائب التي تحل بهذه الأمة بل هي مقدمات بين يدي الساعة، مصيبة فقد العلماء الربانيين والدعاة المربين، وجهابذة المصلحين، الذين شهد لهم أئمة العلم والدين بالديانة والعلم، ولقد كان أيوب يقول: "إني لأخبر بموت الرجل من أهل السنة فكأنما أفقد بعض أعضائي"، فكيف نقول نحن في موت العلماء؟! وقد قال هلال بن خباب: قلت لسعيد بن جبير: ما علامة هلاك الناس؟ قال: "إذا ذهب علماؤهم".

وها نحن أولاء اليوم نودّع علما بارزا من أعلام الدعوة ورموزها، وهو فضيلة الشيخ محمد بن جميل زينو الحلبي ثم المكي – رحمه الله رحمة واسعة – المدرس في دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم اؤجرنا في مصيبتنا واخلفنا خيرا منها.

ولد الشيخ – رحمه الله– في مدينة حلب في سوريا عام **1925** م، الموافق **1344** هـ، ونا ل الشهادة الثانوية العامة، ونجح في مسابقة بعثة الأزهر، لكنه لم يذهب لأسباب

صحية، ودخل دار المعلمين في حلب، وعمل مدرسا بها لمدة 29 سنة تقريبا، ثم ترك التدريس بها.

وبعد استقالته من التدريس جاء بعمرة إلى مكة عام 1399 هـ، وتعرف على سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله وعرف أن عقيدته سلفية، فاعتمده مدرسا في الحرم المكي وقت الحج، ولما انتهى موسم الحج أرسله إلى الأردن للدعوة إلى الله، فذهب إلى هناك ومكث في مدينة (الرمثا) في جامع صلاح الدين، فكان إماما وخطيبا ومدرسا للقرآن، وكان يزور المدارس الإعدادية ويوجه الطلاب إلى عقيدة التوحيد، فكانوا يتقبلونها بقبول حسن.

وفي شهر رمضان من عام 1400 هـ جاء بعمرة إلى مكة، وبقي إلى ما بعد الحج واتصل بمدير دار الحديث الخيرية بمكة فأبدى استعداده لأن يكون الشيخ مدرسا، وطلب إليه تزكية من سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، فكتب إلى المدير يطلب إليه أن يكون مدرسا عندهم، فدخل المدرسة، ودرس الطلاب التفسير، والتوحيد، والقرآن الكريم وغيرها من الدروس.

ثم بدأ الشيخ – رحمه الله – بإصدار رسائل صغيرة، مختصرة، وبسيطة، فكان لها قبول في جميع بلاد العالم، وقد تُرجم بعضها إلى الإنجليزية، والفرنسية، والبنغالية، والإندونيسية، والتركية، والأوردية، وغيرها من اللغات، وسماها: "سلسلة التوجيهات الإسلامية" ، ومن هذه الرسائل:

تكريم المرأة في الإسلام، وعقيدة كل مسلم في سؤال وجواب، وتوجيهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع، ومنهاج الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، وكيف اهتديت إلى التوحيد والصراط المستقيم؟، وخذ عقيدتك من الكتاب والسنة، وكيف نربي أولادنا وما هو واجب الآباء والأبناء؟ وتفسير وبيان لأعظم سورة في القرآن، وشهادة الإسلام "لا إله إلا الله محمد رسول الله" ، ومن بدائع القصص النبوي الصحيح، ونداء إلى المربين والمربيات .. لتوجيه البنين والبنات، وقطوف من الشمائل المحمدية والأخلاق النبوية والآداب

الإسلامية، وغيرها، فقد وصلت إلى أكثر من عشرين رسالة طبع منها مئات الآلاف، وأكثرها مجانية، توزع في كل مصر.

وقد ذكر الشيخ في كتابه (كيف اهتديت إلى التوحيد والصراط المستقيم؟) قصة تحوله من الطريقة الصوفية النقشبندية، إلى الطريقة الصوفية الشاذلية، ثم إلى الطريقة القادرية، ثم إلى الطريقة الصوفية المولوية، وبين أمورا عندهم وردّ عليها، وكذلك خروجه مع جماعة التبليغ، ثم قال في خلاصته بعد بيان اعتداله: قال رسول الله ﷺ: "الدين النصيحة"، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: "لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم". رواه مسلم.

وعملا بقول الرسول الكريم ﷺ هذا فإني أوجه نصيحتي لجميع الجماعات الإسلامية أن يتقيدوا بما جاء في القرآن، والأحاديث الصحيحة، حسب فهم السلف الصالح رضوان الله عليهم، كالصحابة والتابعين، والأئمة المجتهدين، ومن سار على طريقتهم" اهـ كلامه رحمه الله.

هذا وقد توفي الشيخ – رحمه الله تعالى – بعد رحلة طويلة في الدعوة إلى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ بفهم السلف الصالح، وقدم روحه لباريها بعد معاناة من المرض في السنين الأخيرة – أسأل الله تعالى أن يرفع بهذا درجاته – في يوم الجمعة الموافق 29 من شهر شوال عام 1431 هجرية، الموافق 8 من أكتوبر عام 2010م، وكانت صلاة الجنازة بالحرم المكي بعد صلاة العشاء، حيث توافد على حضور الجنازة الكثير من العلماء والدعاة وطلبة العلم، فنسأل الله تعالى أن يتغمده برحمته، وأن يجعله من أهل الفردوس الأعلى. وقد نقلت هذه الترجمة بتصرف من كتابه "كيف اهتديت إلى التوحيد والصراط المستقيم؟" فمن أراد التوسع في ذلك فليرجع إليه، وفقنا الله جميعا لما يحب ويرضى.

* * *